

# الأرض والتربة الحسينية

للمجتهد الأكبر

الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

طبعة جديدة محققة

1416 هـ

هوية الكتاب:

الكتاب: الأرض والتربة الحسينية المؤلف: الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء الناشر: المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت (ع) الطبعة: طبعة جديدة محققة 1416 هـ . قال مطبعة: اميرالكمية  
:3000 نسخة صف الحروف: المجمع العالمي لأهل البيت (ع)  
« حقوق الطبع محفوظة »



## مقدمة المجمع

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بين يدي القارئ الكريم رسالة الأرض والتربة الحسينية للامام العلامة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، وهو من مراجع الشيعة العظام الذين أسدوا خدمات جليلة للحوزة العلمية في النجف الأشرف ودفعوا بالحركة الفكرية والثقافية إلى الامام، وتركوا آثاراً قيمة. وهذه الرسالة القيمة كتبها المصنف استجابة لطلبات وردت عليه فضمنها تاريخ التربة الحسينية وما ورد فيها من فضل. وقد نشرت بعد ذلك عدة مرات من دون تحقيق ولا تعليق ودون تخريج للأحاديث والنصوص.

وقد أخذ المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) على عاتقه مهمة اعادة طباعتها وتقديمها إلى القراء الأعزاء بحلة رشيقة مزينة بالهوامش والتخرجات اللازمة، عسى أن يكون بذلك قد أسدى خدمة لهذا السفر ولمؤلفه الكبير.

المعاونية الثقافية

للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

## تقدمة

ورد على سماحة مولانا الإمام كاشف الغطاء رسالة في أول رجب سنة 1365 من الفاضل المهذب أحمد بدران (مترجم مديرية الميناء في البصرة) فذكر فيها أن جماعة من المستشرقين الإنجليز مشغولون بتأليف دائرة معارف يضمّونها شتى المعلومات والمعارف، وأنه كلف من قبل من اتصلوا به أن يبحث لهم عن مصدر يُزودهم بالمعلومات الكافية عن تاريخ التربة الحسينية، وكيف نشأت من بعد مقتل الحسين (عليه السلام). وهل كان لها تاريخ من قبل؟ وما إلى ذلك من المعلومات التي تخص هذا الموضوع، ليقوم بترجمته إلى اللغة الإنجليزية فيكون مصدراً شافياً عن موضوع، هذه التربة، بعد أن يدرجها المستشرقون في دائرة معارفهم الجديدة، وهذا نص الرسالة:

الرسالة الأولى:

سماحة حجة الإسلام الأكبر آية الله الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء دام ظلّه آمين.  
بعد أن ألّثم هاتيك الأنامل الشريفة التي أقر بالرق كتاب الأنام لها، وأتبرّك بالدعاء لتلك  
الطلعة الغراء التي انجاب بها عن سماء الإسلام الظلم والظلم.

أعرض لسماحتكم أن أحد المستشرقين من علماء الإفرنج قد أخذ على عاتقه تأليف دائرة  
معارف كبرى يضمنها المنقول والمعقول؛ وقد أراد أن يلم بتاريخ التربة الحسينية إماماً  
واسعاً، بحيث يكون مرجعاً للتأريخ في المستقبل. فهو يريد أن يعرف السبب الحقيقي في  
نشأتها، وكيف أنها وجدت بعد عهد الحسين (عليه السلام) وهي لم تكن قبله ولا في عهده، ومن  
أول من صلى عليها من المسلمين؟ وخالصة الأمر أنه يريد تاريخاً حقيقياً شاملاً لجميع  
نواحي هذه التربة الحسينية لدرجه في دائرة المعارف الإنجليزية، طلب هذا العالم إلى أحد  
موظفي الميناء أن يزوده بهذا التاريخ، وهذا الموظف كلفني بدوره أن أتقصى ذلك، وما كان  
مني إلا أن يمت العالم الجليل السيد عباس شبّر، وبعد أن عرضت المسألة عليه رأى من  
الأجدر أن تعرض على سماحتكم، علماً منه بأنكم خير من يقصد للاستفسار في مثل هذه  
المسائل، وعلى هذا فإني أضرع لسماحتكم أن تتكرموا بإرسال تاريخ مفصل عن هذه التربة  
الحسينية بوساطة العالم الجليل السيد عباس شبّر في البصرة لكي اتمكن من ترجمته وإرساله  
إلى العالم الإنجليزي.

وغير خفي على سماحتكم أن في ذلك إظهاراً للحق وإزالة للباطل، ودفعاً للشبهة والشك  
والظن والتقول، وأن الكتاب الذي سيؤلفه هذا العالم سوف تطالعه ملايين من البشر،  
وسيعرفون حقيقة هذه التربة، وسيضربون عرض الحائط ما علق بأذهانهم عنها حتى الآن.  
هذا وختاماً تكرموا يا صاحب السماحة بقبول فائق شكري واحترامي وإخلاصي، وتحيات  
العالم الجليل السيد عباس شبّر ودمتم ذخراً وركناً للمسلمين جميعاً.

خادمكم المخلص

أحمد بدران

مترجم مديرية الميناء

\* \* \*

ثم كتب فضيلة السيد عباس شبّر الحسيني كتاباً ورد إلى الامام، أوضح فيه حضرته أن  
الأديب الفاضل صاحب الرسالة المذكور من قبل هذا قد راجعه في هذا الأمر، وطلب إليه أن

يهديه إلى المرجع الثقة في هذا الموضوع، فأشار عليه بذلك، ثم استعجل سماحة الامام بإنجاز هذا البحث الذي سيكون مرجعاً وثيقاً ينهل منه طالبو الحقيقة وهذا نص الرسالة:

الرسالة الثانية:

صاحب السماحة الامام آية الله العلامة الاكبر الشيخ محمد الحسين دام ظله.  
سلام الله الأسنى وتحاياها الزاكيات الحسنى على مولانا ورحمة الله وبركاته.  
المعروض على خاطرکم الكريم أنه سبق منذ مدة قد تكون طويلة أن الأديب اللامع أحمد بدران، وهو من شبابنا المثقف النبيل الغيور على دينه وأمته، ووظيفته الترجمة في دائرة ميناء البصرة، أخبرني أن مستشرقاً كبيراً انجليزياً قد عزم على المساهمة في الكتابة بموسوعة (دائرة المعارف الانجليزية الجديدة). وقد اختار أن تكون كتابته في موضوع التربة الحسينية وتاريخها عند الشيعة الامامية، ولأجل الحصول على المعلومات الكافية راجع دائرة ميناء البصرة يطلب منها أن تأخذ له المعلومات الصحيحة عن أحد علماء الشيعة، وكانت هذه الدائرة في الوقت قد راجعت بعض المعممين، فكتب في الجواب ما لا يسمن ولا يغني، فلم يرتح هذا الشاب النبيل للجواب عندما عرض عليه للترجمة، وطلب من رئيس الادارة أن يراجع في الأمر غير هذا الكاتب، بالنظر لأهمية الموضوع، فاجيب طلبه فعرض ما كتب جواباً علي ليتعرف على رأيي، فأشرت عليه بأن يراجع سماحتكم، وقلت له: لا يجوز فيما أرى لغير قلم مولانا كاشف الغطاء أن يتناول هذا الموضوع الذي يخص مائة مليون من المسلمين، وعليه فقد استمهل الادارة وكتب لسماحتكم. وقد اخبرني انه طلب ان يكون إرسال الجواب اليه بواسطتي، وهو لا يزال يسألني عن وصول الجواب، لأن الإدارة تلحّ عليه بالتعجيل، فالرجاء ان تتفضلوا بتحرير ما ترونه مناسباً في مثل هذا المقام مجملاً. وبالختام تقبلوا فائق الاحترام والسلام.

من المخلص

عباس شبر الحسيني

\*\*\*

وكان سماحة الإمام قد بدأ في تأليف رسالة وافية في هذا الموضوع، لما رأى في ذلك من إنارة أفكار القراء الأجانب، ولفت نظرهم إلى موضوع خطير من مواضيع مذهب الإمامية الإثني عشرية، الذي يعد سماحته العلم الأكبر بين أعلامه، بما في ذلك من رفع الجهل أو التجاهل بحقائق مذهب الطائفة النبيلة، الذي ظهرت آثاره في التاريخ الخاص منها والعام،

نتيجة لسوء البحث أو لسوء النية. وبعد أن بعث سماحته بهذه الرسالة عند إنجازها إلى فضيلة السيد عباس شبرّ جاء منه الكتاب التالي:

الرسالة الثالثة:

سماحة العلامة الأكبر آية الله الشيخ محمد الحسين دام ظلّه العالی.  
السلام على مولانا ورحمة الله وبركاته، وتحياته الصالحات المباركات، والابتهاال إلى الله سبحانه من صميم القلب أن یمتّعنا والعالم الإسلامي أجمع بدوام ظلکم على مدى الأيام:  
بقیت بقاء الدهر يا غوثَ أهله \*\*\* وذاك دعاء للبرية شامل  
تشرّفت الساعة برسالتکم العزیزة في البريد المسجل، وتلوتها بكل إعجاب وإکبار، شاكرًا داعيًا لسماحتکم، وسأجتّمع في أقرب فرصة إن شاء الله بأحمد بدران، وأؤكدّ عليه بالاهتمام التام في هذه النفحة القدسية والعبقة السماوية التي خص بها يراع المجاهد، اليراع الذي اختاره الله سبحانه لنصرة دينه وإرشاد عباده فكان آية من آياته:  
يراعُ يرَاعُ به الجاحدون \*\*\* ويرعى به المؤمن المتقي  
حسام جراز غداة الكفاح \*\*\* وفي السلم كالغصن المورق  
تخيره الله للمعضلات \*\*\* وفتح مقلها المغلق  
فأصبح في عصرنا المستنير \*\*\* معجزة الدين والمنطق  
وبعد، فما عساني أن أقول في نعت هذا اليراع الكريم الملهم، ووصف رشحاته التي يقصر دون إطرائها البيان وان (هذه من علاه إحدى المعالي، وما عسى أن يقال في وصف صحاح الجوهر؟ أستغفر الله ما قيمة الجوهر) إلى جانب هذه السموط الفردوسية وهي (من جوهر التراب) فاقترح على الأستاذ أحمد بدران عرضها بعد ترجمتها على لجنة من شبابنا المتأدب باللغتين العربية والإنجليزية، لإخراج الترجمة تخريجاً عالياً كما تحبون ونحب إن شاء الله، وسوف نرسل لسماحتکم نسخة من الأصل ونسخة من الترجمة، تشرّفت قبل رسالتکم هذه بكتابين من سماحتکم، كان ثانيهما جواباً لكتابي الذي أرسلته إليکم، وقد كان لي شبه عزم على زيارة النصف من شعبان، فأكون أنا جواب الجواب، ذلك ما أخرني عن الإجابة بوقته، وكان كتابي إليکم قبل تشرّفي بكتابکم الأول. وبالختام تقبلوا فائق الثناء والاحترام والسلام.

من المخلص

عباس شبرّ الحسيني

\*\*\*

ثم تلاه الكتاب الرابع من فضيلة السيد عباس شبرّ أيضاً وهذا نصه:



الرسالة الرابعة:

سماحة العلامة الأكبر ملاذ الإسلام ومرجع المسلمين آية الله الشيخ محمد الحسين دام  
ظله:

بك از دانت الأعياد وافترّ ثغرها \*\*\* وعمّت كما عمّت مآثرك الخلقا  
فغرّد في روض الشرور هزارها \*\*\* يهّي بك الإسلام والدين والشرقا  
بعد السلام على مولاي ورحمة الله وبركاته، وتقديم أجمل التهاني وأزكاها وأطيب  
التمنيات وأعلاها بمناسبة هذا العيد السعيد، والابتهاال إلى الله سبحانه أن يجعل أيامنا كلها  
بوجود مولانا أعياداً تتجدد بالخير والمسرة والبركات.  
غرّد طير البشر لما بدا \*\*\* هلال شوال بأفق السعود  
فاسلم ودم ظلاً لنا شاملاً \*\*\* وافطر بعيد الفطر قلب الحسود

سبق أن أرسلت لمولاي رسالة عرفته فيها بوصول رسالته الثمينة في التربة الحسينية،  
وقد دفعتها لأحمد بدران ليستنسخها ويترجمها، ولأعرض الترجمة على لجنة أختارها ممن  
يجيد اللغتين، وأرسل الأصل العربي ونسخة من الترجمة لسماحتكم. وقد اجتمعت بابن  
بدران في شهر رمضان مرتين، وألححت عليه بالإسراع في إنجاز الترجمة، فوعد خيراً،  
ولكنه أخبرني اليوم بأنه لم يكمل الترجمة بعد لطاري صحي، وأنه سيكملها في القريب  
العاجل، فطلبت منه أن يدفع لي الأصل العربي أو نسخة منه لإرسالها مقدماً لسماحتكم  
لتطبع. وأخبرته بالكتاب الذي تناولته بالأمس من الأستاذ الشيخ عبد الغني الخضري في  
ذلك، فأخبرني أن الأصل والصور التي استنسخها بالآلة الطابعة في دائرة الميناء، وسيجيء  
إلي بنسخة بعد عطلة العيد بلا تأخير، وسأسلمها منه وأرسلها إليكم على الفور إن شاء الله،  
ثم أرسل نسخة من الترجمة بعد إكمالها وتمحيصها بأنظار اللجنة التي اختارها للنظر في  
مطابقتها للأصل. وختاماً تفضلوا بقبول فائق التهاني والاحترام والسلام.

من المخلص الصميم

عباس شبّر الحسيني

\*\*\*

وهذه الرسالة التي دبّجتها يراع الإمام جواباً على ذلك الطلب إنما هي، حقاً بحث واف في  
موضوع خطير لم يسبق أن اهتم به أحد من الأعلام. إما لعجز يعذر معه، أو لتعاجز إزاء  
خدمة هذه الطائفة وإبلاغ حقائق مذهبها إلى العالمين. أما سماحة الإمام فهو الرجل الذي لم  
يتوان جهده في اغتنام الفرص والعمل المجيد حيال الواجب الديني المقدس، الذي لم يشأ أحد

من أئمة المذهب ليوقف شيئاً من جهده لتدعيم مظاهره وبت حقائقه، إلا الصفوة القليلة من رجال العلم والفضيلة وحملة نور الإيمان، ممن يعدّ سماحة الإمام مولانا الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء على رأسهم وفي مقدمتهم. فهي بحث طريف في موضوع بكر لم يسبقه إليه سابق، ولا يستطيعه لاحق. وقد توسّع فيه إلى البحث عن مطلق الأرض وخيراتها وأركانها وقدسيتها بنحو بديع، ديني، أدبي، تأريخي، ثم تخلص منه إلى التربة الحسينية. وحيثما يضع سماحة هذا الإمام الفذ قلمه يأت بالمعجز والمدهش، كما تشهد لذلك عامة مؤلفاته التي أنافت على الثمانين. وستكون لهذه الرسالة السامية نتائج معنوية كبرى هي أهل بمقام الإمام وجهاده.

حسين محمد الطيب

## الرسالة

وهذا نص البيان الذي تفضل به يراع الإمام ورشح به قلمه المبارك.

يقول الله جل شأنه في فرقانه المجيد: (وكأين من آية في السماوات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون)<sup>(1)</sup>.

حقاً إن من أعظم تلك الآيات التي نمرّ عليها في كل وقت وعلى كل حال هي هذه الأرض التي نعيش عليها ونعيش منها ونعيش بها، منها بدؤنا وإليها معادنا. (منها خلقناكم وفيها نعيدكم)<sup>(2)</sup>. لا نزال نمشي على الأرض، ونثير ترابها في الحرث والنسل، ونقلبها للغرس والزرع، ونقلب عليها للضرع والمرع، ونزاولها في عامة شؤون الحياة. ولا تزال تدر علينا بخيراتها وبركاتها، ونحن ساهون لاهون، وعن آياتها معرضون، غافلون عما فيها من عظيم القدرة وباهر الصنعة ودلائل العظمة والقوة، هذا التراب الذي قد نعدّه من أحقر الأشياء وأهونها، والذي هو في رأي العين شيء واحد وعنصر فرد، كم يحتوي على عناصر لا تحصى وخواص لا تنتهى، تنثر فيه حب القمح مثلاً فيعطيك أضعافاً من نوعه، وتنثر فيه الفول والعدس وأمثالهما من القطانيات المختلفة في الطعوم والخواص فتعيدها إليك مضاعفة مترادفة، وتغرس في نفس ذلك التراب نواة النخل وبذرة الكرم وأقلام التين والتفاح وأمثالها من الفواكه فتثمر تلك الثمار الشهية المختلفة الأذواق المتغايرة الخواص.

التراب يخرج لك البطيخ بأنواعه: أصفره وأحمره وأبيضه بتلك الروائح الطبيعية العطرة وكله حلو منعش، ويخرج لك الحنظل وكله مر مهلك، كل هذا والشكل متشابه والخضرة متمائلة والماء واحد والتربة واحدة، كما في القرآن (يسقى بماء واحد) والماء ماء، ولما يستوي الشجر، التراب واحد والمستقى واحد والثمرات والنتائج مختلفة؛ فمن أين جاء هذا الاختلاف العظيم؟ أليست كلها عناصر في الأرض يأخذ كل واحد من تلك البذور ما يلائمه من تلك العناصر الكامنة في التراب المكونة لتلك الثمرة والأنواع المختلفة لا يختلط واحد بالآخر ولا يشتهبه نوع بنوع؟ كل ذلك على نظام متسق، ووزن متفق، وعتار معين، كل

(1) سورة يوسف: 105.

(2) سورة طه: 55.

فاكهة في فصلها وموسمها، فربيعية لا تدرك في الخريف، وخريفية لا تنضج في الصيف، وصيفية لا توجد في الشتاء. وأعظم من هذا أثراً وعبراً ما تخرجه الأرض من المعادن. انظر إلى هذه المعادن الثمينة والأحجار الكريمة من الذهب والفضة والياقوت والفيروزج ونظائرها، هل هي إلا من التراب ومن ثمرات الأرض؟ بل ذكر لي بعض المولعين بالصنعة القديمة «علم الكيمياء» ان الأكسير الأعظم الذي يتطلبه أهل هذا الفن وبه يحولون الفلزات من واحد لآخر حتى ينتهي إلى الذهب هو أيضاً من التراب، ولقد أبدع العارف الرباني الشيخ محمود الشبستري في رسالته المنظومة الموسوعة (كلشن راز) حيث يقول فيها:

شعاع آفتاب أز جرم أفلاك \*\*\* نگردد منعكس جزبر سرخاك

توبودی عکس معبود ملانك \*\*\* از آن گشته تومسجود ملانك

وملخص ترجمته: ان الشمس وهي في الفلك الرابع (على الهيئة القديمة) لا ينعكس شعاعها إلا على التراب، ولو لا التراب لما كان لأشعة الشمس فائدة وأثر. ثم يقول: انعكست فيك صفات معبود الملانك أيها الانسان، لهذا صرت محل سجود الملانكة. نعم نعود إلى الأرض فنقول: والأرض هي أم المواليد الثلاثة: الجماد، والنبات، والحيوان، وتحوطها العناية بالروافد الثلاثة: الماء، والهواء، والشمس، فهي الحياة وهي الممات وفيها الداء ومنها الدواء، وقد تحصى نجوم السماء أما نجوم الأرض فلا تحصى.

نعم لا تحصى نجوم الأرض ولا معادن الأرض ولا عناصر الأرض، ولا تزال الشريعة الاسلامية قرآنها وحديثها يعظم شأن الأرض وينوّه عنها صراحة وتلميحاً فيقول: (ألم نجعل الأرض كفاتاً \* أحياءً وأمواتاً)<sup>(3)</sup>. (والأرض بعد ذلك دحاًها \* أخرج منها ماءها ومرعاها)<sup>(4)</sup>. (فلينظر الإنسان إلى طعامه \* أنا صببنا الماء صباً \* ثم شققنا الأرض شقاً \* فأنبتنا فيها حباً وعباً وقضباً \* وزيتوناً ونخلاً \* وحدائق غلباً \* وفاكهة وأباً)<sup>(5)</sup>.

دع عنك ما تخرجه الأرض من نبات وأشجار وحبوب وثمار ومعادن وأحجار، ولكن هلمّ إلى هذا الإنسان ذي العقل الجبار، الذي سخر الأثير والبخار والكهرباء والذرة، فهل يكون إلا من التراب؟ وهل عناصره وأجزاؤه التي التام جسمه منها إلا من التراب؟ وهل يتلاشى ويعود إلا إلى التراب؟

ولعلّ من أجل شرف التراب وقداسته وعظيم خيراته وبركاته كنى رسول الله(صلى الله عليه وآله) وصيه وأحب الخلق إليه علياً(عليه السلام) بأبي تراب، وكانت أحب الكنى إلى أمير المؤمنين(عليه السلام)<sup>(6)</sup>، ومنها قد استخرج عبد الباقي العمري معنى شعرياً عرفانياً حيث قال:

(3) المرسلات: 25 - 26.

(4) النازعات: 30 - 31.

(5) عبس: 24 - 31.

(6) صحيح مسلم، ج: 15، كتاب الفضائل، باب فضائل علي(عليه السلام)، ص: 182.

خلق الله آدمًا من تراب \*\*\* فهو ابن له وأنت أبوه<sup>(7)</sup> ولعلّ من هنا أيضاً ينكشف سرّ تقبيل الأرض بين يدي الملوك تعظيماً لهم، يعني قدس الأرض التي أنشأتك ومنها تكوّنت. وقال الحكيم العارف (الخيّام) في بعض رباعياته:

أى خاك أكرّ سینه تو بشكافند \*\*\* بس گوهر قیمتی است در سینه تو  
وترجمته: أيها التراب لو يشقون عن قلبك وينظرون إلى باطنك لوجدوا فيه الكثير من الجواهر الكريمة ذوات القيمة العظيمة، وأبدع من هذا قول بعض أكابر العرفان الشامخين في (ترجيع بند) له فيه بدائع الأسرار والحكم يقول فيه:

دل هل ذره كه بشكافى \*\*\* افتابيش در میان بینی  
وترجمته: قلب كل ذرة إذا شققته ونظرت فيه تجد شمسا منيرة فيه. وقد حاول بعض الرجال البارزين من المصريين ممن له إلمام بالأدب الفارسي أن يجعل هذا النظم إشارة إلى الذرة التي هي من مخترعات هذه العصور. أما هذا العاجز فلا شك أنه أراد هذه الذرة التي ملأت الأجزاء ومنها تكونت الأشياء، وأراد بالشمس تلك الشمس التي أشرقت منها الشمس والأقمار فعميت عن إدراكها البصائر والأبصار.

نعم فهذه الأرض المباركة ذات الآيات الباهرة ألا تستحق التكريم والتعظيم والتعزيز والتقدیس؟ وفي الأحاديث النبوية أيضاً إشارة إلى ذلك حيث يقول (صلى الله عليه وآله): «تمسحوا بالأرض فإنها بكم برّة»<sup>(8)</sup>. وفي آخر: «تحفظوا من الأرض فإنها أمكم»<sup>(9)</sup>. و«اكرموا النخلة فإنها عمتم»<sup>(10)</sup>. و«خلق الله عزوجل النخلة من فضلة طينة آدم (عليه السلام)»<sup>(11)</sup>. وهذه كلها رموز وإشارات لا تخفى مغازيها على اللبيب، إذاً فلا يتبين من هذا سر أمر الباري جل شأنه للملائكة جميعاً أن يسجدوا لآدم الذي خلقه من تراب وأنشأه من الأرض، وأودع فيه جميع خواصها وعناصرها، وفيه انطوى العالم الأكبر. وقد حدثتنا الكتب السماوية عن السجود لآدم بأساليبها المختلفة، فليسجدوا لآدم عبادة لله وتقديساً وتكريماً للأرض ذات الخيرات والبركات والمحيا والممات. ومنه تعرف أيضاً سر امتناع إبليس المخلوق من النار عن السجود للأرض، والعداء والنفرة طبيعي بين النار والأرض.

الأرض مجمعة والنار مفرقة، والجمع قوة والفارقة ضعف، الأرض باردة معتدلة والنار محرقة مشتعلة، الأرض نمو وزيادة والنار إفناء وإبادة، الأرض يعيش بها كل حي والنار يهلك بها كل حي، إذاً فليسجد الملائكة لآدم وليسجد أبناؤه لله على الأرض فإنها أهم البرّة الحنون.

(7) الاميني، الغدير، ج: 6، ص: 338.

(8) المجلسي، بحار الانوار، ج: 82، كتاب الصلاة، باب ما يصح السجود عليه، ج: 6، ص: 158، عن المجازات النبوية.

(9) المصدر السابق، ج: 7، كتاب العدل والمعاد، باب صفة المحشر، ص: 97.

(10) المصدر السابق، ج: 63، كتاب السماء والعالم، باب التمر، ج: 61، ص: 142.

(11) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج: 4، ص: 5702، ص: 327.

ومن سموّ الارض على النار وشرفها الذي أشرنا إلى طرف منه ومن بعض نواحيه يتضح لك أيضاً اندفاع مغالطة الشاعر القديم بشار بن برد في انتصاره لإبليس في تفضيل النار على الأرض بقوله من أبيات:

الأرض مظلمة والنار مشرقة\*\*\* والنار معبودة مذ كانت النار

وهذه الحجّة الواهية تستند إلى دعامتين ساقطتين، الأولى: أن الارض مظلمة. ومما تلوناه عليك من منافع الارض وبركاتها تعرف أن الارض هي المشرقة والنار هي المظلمة، الأرض حياة والحياة هي النور، والنار لا حياة فيها بل تتعدم بها الحياة وعدم الحياة ظلمة، الأرض أم الحياة والنار أم الموت، وأين الحياة من الموت؟ وكفى بالنار أن الله جعلها عقاباً ومآباً للعاصين، وكفى بالأرض أن جعلها جنة عدن للمتقين.

الثانية: ان النار معبودة مذ كانت النار. وهذه اسقط من سابقتها، فأن النار لم يعبدها من الأمم إلا المجوس حتى قيل:

مثل المجوسي في ضلالتة\*\*\* تحرقه النار وهو يعبدها

وأما الأرض فلم تزل معبودة على أوليات الدهر بأصنامها وأوثانها وهيكلها ونواديها، والجميع من الأرض، ولا تزال أكثر الأمم وثنية إلى اليوم. وحيث تجلّى شرف الأرض وقداستها، إذن فليسجد الملائكة الذين ليسوا هم من الأرض لآدم وليد الارض، ولا يجوز السجود في شريعة الإسلام - سجود عبادة - إلا لله وإلا على الأرض أو نبات الأرض، ومن أجل ما في الأرض من المواد المعقمة والعناصر المنقية، جعلها الشارع في الاسلام مطهرة من الحدث تارة، أي القذارة المعنوية التي لا يزيلها إلا الماء، فإذا لم يوجد الماء أو لم يمكن استعماله (فلم تجدوا ماءً فتيّموا صعيداً طيباً)<sup>(12)</sup>، اقصدا تراباً خالصاً نظيفاً طيباً فامسحوا فيه الجبين، الذي هو واليدان أحوج الأعضاء إلى النظافة وإماطة الغبار والأكدار عنهما، لمزاولة اليد للأعمال ومباشرتها للأجسام المختلفة في الأسناخ والأوساخ فالتراب يقوم مقام الماء، التراب أخو الماء والأرض أخته، ومطهرة من الخبث أخرى، حتى مع التمكن من الماء، فتطهر باطن الحذاء والقدم، وكثيراً من أمثالها، كأسفل العصا ونحوها. فلو تنجّس باطن القدم أو الحذاء ومشيت على الأرض خطوات وزالت العين تطهرت القدم، ولا حاجة إلى تطهيرها بالماء<sup>(13)</sup>. فالأرض مسجد والأرض طهور، وإليه قصد الحديث النبوي المشهور «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»<sup>(14)</sup> أي أينما أدركتني الصلوة سجدت وصلّيت، ومتى أعوزني الماء بها تطهرت فهي طاهرة ومطهرة. نعم وهي مطهرة بما هو أوسع وأدق وأعمق معاني التطهير، فإنّ فيها المواد المعقمة والعناصر المهلكة لجميع جراثيم الأوبئة

(12) سورة النساء: 43.

(13) راجع: الوسائل للحر العاملي، ج: 1، كتاب طهارة، باب طهارة باطن القدم والنعل والخف، ص: 457 - 459.

(14) الكليني، الكافي، ج: 2، كتاب الايمان، باب الشرائع، ح: 1، ص: 17، وابن رشد في بداية المجتهد، ص: 65.

والأمراض. ومن أجل هذه الصفة والخصوصية في الأرض أوجبت الشرائع السماوية وبالأخص شريعة الاسلام دفن الأموات فيها، ولا يجوز دفن الميت في غيرها، وأن يوضع خده على الأرض، ولا يجوز حتى إلقاؤه في البحر مع التمكن من دفنه بالأرض بل ولا إحراقه بالنار، مع أن المتبادر بادئ النظر إنه أبلغ في قمع جرائم الأموات المضرة بالإحياء، كما يصنعه البراهمة الذين يحرقون أمواتهم، ولكن أليس من الجائز القريب أن يكون جثمان الإنسان يحمل أو تحمل فيه عند مفارقتة الحياة مواد من ناشرات الأوبئة التي لو أحست بحرارة النار تطايرت في الفضاء قبل أن تحترق، فتأخذ مفعولها في نشر الأمراض وتلويث الهواء؟ وكذا لو ألقيت في البحار أو الأنهار تنمو وتشتد، بخلاف ما لو دفنت في التراب. ولعل فيه مواد من خاصيتها تلف تلك الجراثيم المختلفة الأنواع التي لو انتشرت لأهلكت كل حي حتى النبات. وقد أيد العلم الحديث هذه النظرية، حيث اكتشف بعض علماء الغرب - حسبما نقل - أن في التراب مادة تقتل مكروب كل مرض من الأمراض كالسل والتيفويد والملاريا وغيرهما، ولو لا تلك المادة المعقمة في التراب لا تنتشر من جسد كل ميت أنواع من الأمراض تقضي بالفناء على كل الأحياء، أو لعل إليه الإشارة بقوله تعالى: (ألم نجعل الأرض كفاتاً \* أحياءً وأمواتاً).

فقد ذكر اللغويون أن معاني «الكفت»: الجمع والضم والإماتة<sup>(15)</sup>. يقال كفته الله أي أماته، فيكون المعنى المشار إليه في الآية أن الأرض تجمع وتضم الأحياء، ثم تجمع جرائمها بعد الموت وتميتها، فإن تمت هذه الاستفادة فهي إحدى معجزات القرآن، وهل ترى أن قدماء الفلاسفة ومتأخريهم من اليونان والهند والفرس وغيرهم فيما استخرجوه من خواص الأرض ومعادنها وحيوانها قد أحصوا كل ما أودعه الصانع الحكيم فيها من الكنوز والرموز والخزائن والدفائن؟ كلا ولا عشر معاشر منها، ولعل نسبة ما وصلوا إليه مما تمنع عليهم نسبة الذرة من الفضاء والقطرة من الدماء، ولا يزال العلم والبحث يأتي بالعجائب ولا تنتهي حتى تنتهي الدنيا ولن تنتهي.

وإنما الغرض الإشارة إلى أن هذه الأرض هي من أعظم آيات الله الباهرة، نمرّ عليها ليلاً ونهاراً ونحن عنها معرضون، ولو عرفنا اليسير من منافعها وطبائعها لتجلى لنا أنها الأم الحنون البارة بنا، التي ولدتنا وأرضعتنا من أخلاف نعمها وخيراتها. وما هذا البشر إلا غرس من غرسها وشجرة نامية من أشجارها، أولدتنا على ظهرها، وغذتنا من منتوجاتها، وتردنا إلى أحشائها. وفي الحديث النبوي «إن الأرض بكم برّة تميمون منها، وتصلون عليها في

(15) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج: 1، مادة (كفت)، ص: 156.

الحياة الدنيا، وهي لكم كفات في الممات، وذلك من نعمة الله له الحمد، وأفضل ما يسجد عليه المصلي الأرض النقية»<sup>(16)</sup>.

وقد نوّه عن بعض تلك المزايا الشاعر الحكيم العربي القديم الذي أدرك أول بزوغ شمس الإسلام ولم يسلم، لأنه كان قد رشّح نفسه للنبوّة ولم تساعده العناية، وتخطّته إلى من هو أحقّ بها وأجدر، ذلك أمية بن أبي الصلت، وكان ينظم المطولات الرنانة في السماء والعالم، والمبدأ والمعاد، والقبر والبرزخ، والحشر والنشر، والأفلاك والأماك. ففي بعض مطوّلاته يقول عن الأرض:

الأرض معقلنا وكانت أمنا \*\*\* فيها مقابرنا ومنها نولد  
وفي أخرى:

هي القرار فما نبغي بها بدلاً \*\*\* ما أرحم الأرض إلا أننا كفر  
منها خلّقنا وكانت أمنا خلقت \*\*\* ونحن أبناؤها لو أننا شكر

ومن الأيام الزكية في شريعة الإسلام هو يوم (دحو الأرض)، وهو اليوم الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام، وهو من الأيام التي يستحب فيها الصيام، وفيه دعا الله الأرض من تحت الكعبة (أي بسطها ومدّها). وفيه دعاء جليل أوله: «اللهم داحي الكعبة، وفالق الحبة، وصارف اللزّية، وكاشف كل كربة، أسألك في هذا اليوم من أيامك، التي أعظمت حقها، وأقدمت سبقها، وجعلتها عند المؤمنين وديعة وإليك ذريعة»<sup>(17)</sup> إلى آخر الدعاء. وإليه الإشارة بقوله تعالى: (والأرض بعد ذلك دحاها).

نعود فنقول أليست هذه الأرض حرة إذا بالتقديس والكرامة والإجلال والعظمة؟ وأن نسجد عبودية لله على النظيف منها تكريماً لها، وشكراً لعظيم نعمته تعالى علينا بها، وتنشيطاً للحركة الفكرية للانتقال من عظمتها إلى عظمة خالقها، والتفاتاً إلى أنها مع عجز العقول والأفكار والأيدي العاملة في تحليل جميع عناصرها واستخراج كل جواهرها، ليست هي بالنسبة إلى سائر الكرات والكواكب والأنظمة الشمسية التي أحصي منها الملايين، وما أحصي إلا اليسير منها، ما هي إلا ذرة تسبح في بحر هذا الفضاء غير المتناهي. فما أعظم الخالق؟ وما أدهش قدرته وعظّمته وأبدع صنائعه وخليقته؟

وكل ما ذكرنا من فضل هذه الكرة السابحة في بحر هذا الكون الذي لا ساحل له وهي الأرض معلوم واضح، كما أن من المعلوم الواضح أن هذه الأرض مع وحدتها وتساوي بقاعها وأجزائها ظاهراً ولكنها في الامتحان وفي ظاهر العيان أيضاً مختلفة أشد الاختلاف في البقاع والطباع والأوضاع، ففيها الطيبة والخبيثة، والحلوة والمالحة، والسبخة والمرة،

(16) النعمان المغربي، دعائم الإسلام، ج: 1، ص: 178، والبحار للمجلسي، ج: 82، كتاب الصلاة، باب ما يصح السجود عليه، ج: 20، ص: 156 عنه.

(17) الشيخ الطوسي، مصباح المتهدج، ص: 669.



وإليه الإشارة بقوله تعالى: (وفي الأرض قطع متجاورات)<sup>(18)</sup>. وهذا الاختلاف شيء محسوس، فقد يلقي الحارث في أرض قبضة قمح فيعود عليه ريعها بأضعاف البذر سبعين مرة، وقد يلقيه في أخرى فيخيس ويحترق ولا يحصل حتى على البذر. ولا شك أن الطيب النافع هو الحري بالكرامة والتقديس، ولا يبعد أن تكون تربة العراق على الإجمال من أطيب بقاع الأرض في دماثة طينتها وسعة سهولها، وكثرة أشجارها ونخيلها، وجريان الرافدين عليها، وما يجلبان من الأبليز وهو الذهب الإبريز، واللجين الجاري والياقوت والذهب الأسود. ثم لو تحرّينا هذه السهول العراقية وجدنا من القريب إلى السداد القول إن أسمى تلك البقاع، أنقاها تربة، وأطيبها طينة، وأذكاها نفحة هي تربة كربلاء تلك التربة الحمراء الزكية<sup>(19)</sup>. وكانت قبل الإسلام قد اتخذت نواميس ومعابد ومدافن للأمام الغابرة<sup>(20)</sup>، كما يشعر به كلام الحسين سلام الله عليه في إحدى خطبه المشهورة حيث يقول:

«كأني بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء»<sup>(21)</sup>.

وهذه التربة هي التي يسميها أبو ریحان البيروني في كتابه الجليل (الآثار الباقية) التربة المسعودة في كربلاء<sup>(22)</sup>.

نعم، وإنما يعرف طيب كل شيء بطيب آثاره، وكثرة منافعه، وغزارة فوائده. ويدل على طيب الأرض وامتيازها على غيرها طيب ثمارها، ورواء أشجارها، وقوة ينعاها وريعتها. وقد امتازت تربة كربلاء من حيث المادة والمنفعة بكثرة الفواكه وتنوعها وجودتها وغزارتها، حتى أنها في الغالب هي التي تمون أكثر حواضر العراق وبواديها بكثير من الثمار اليانعة التي تختصها ولا توجد في غيرها.

إذاً أفليس من صميم الحق والحق الصميم أن تكون أطيب بقعة في الأرض مرقداً وضريحاً لأكرم شخصية في الدهر؟ نعم لم تزل الدنيا تمخض لتلد أكمل فرد في الإنسانية وأجمع ذات لأحسن ما يمكن من مزايا العبقرية في الطبيعة البشرية وأسمى روح ملكوتية في اصقاع الملكوت وجوامع الجبروت فولدت نوراً واحداً شطرتة نصفين سيد الأنبياء محمداً (صلى الله عليه وآله)، وسيد الأوصياء علياً (عليه السلام) ثم جمعتهما ثانياً فكان الحسين (عليه السلام)

(18) سورة الرعد: 4.

(19) راجع: كامل الزيارات لابن قولويه، باب (88) فضل كربلاء وزيارة الحسين (عليه السلام)، ص: 259 - 271، والبحار للمجلسي، ج: 28، كتاب الفتن والملاحم، باب (2)، ج: 23، ص: 58 عنه.

(20) راجع: تهذيب الاحكام للشيخ الطوسي، ج: 6، كتاب المزار، باب 22، ج: 138، ص: 73، والبحار للمجلسي، ج: 98، ص: 42، ص: 116 عنه.

(21) الاربلي، كشف الغمة، ج: 2، ص: 241، والبحار للمجلسي، ج: 44، تاريخ الحسين (عليه السلام)، ص: 367 عنه.

(22) البيروني، الآثار الباقية، ص: 329.

مجمع النورين وخالصة الجوهرين كما قال (صلى الله عليه وآله): «حسين مني وأنا من حسين»<sup>(23)</sup> ثم عقلت أن تلد لهم الأنداد أبد الآباد، وإذا كان من حق الأرض السجود عليها وعدم السجود على غيرها، أفليس من الأفضل والأحرى أن يكون السجود على أفضل وأطهر تربة من الأرض؟ وهي التربة الحسينية، وما ذلك إلا لأنها أكرم مادة وأطهر عنصراً وأصفى جوهرأ من سائر البقاع. فكيف وقد انضم شرفها الجوهري إلى طيبها العنصري؟ ولما تسامت الروح والمادة وتساوت الحقيقة والصورة صارت هي أشرف بقاع الأرض بالضرورة، كما صرح بذلك بعض الأفاضل من كتاب هذا العصر<sup>(24)</sup>، وشهد به الكثير من الأخبار والآثار، وإليه أشار السيد (قدس سره) في منظومة الفقه الشهيرة بالبيت المشهور:

ومن حديث كربلا والكعبة \*\*\* لكربلا بان علو الرتبة

وقد تلاقت ذلك الشعراء من زمن الشهادة إلى اليوم، وتفننوا في بيان فضل هذه التربة وقد استنها وشرفها واستطانتها على جميع بقاع الأرض بالفضل والشرف، ولو جمع كل ما قيل فيها لجاء مجلداً ضخماً. وفي زيارة الشهداء مع الحسين سلام الله عليه وعليهم «اشهد لقد طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم»<sup>(25)</sup>. وقد اتفقت كلمات فقهاءنا في مؤلفاتهم - مختصرة ومطولة - على أن السجود لا يجوز إلا على الأرض أو ما ينبت منها، غير المأكول والملبوس، وأفضله السجود على التربة الحسينية. ومن تلك المؤلفات الجليلة (سفينة النجاة) لأخيها المرجع الأعظم في عصره الشيخ أحمد كاشف الغطاء (قدس سره) وقد طبعنا في العام الماضي جزأه الأول مع تعليقاتنا عليه، وأكملنا بتوفيقه تعالى تعاليق الجزء الثاني وهو جاهز للطبع. وقد علقنا على تلك الفقرة من الكتاب قبل أن يردنا هذا السؤال ونتصدى لتحرير هذا الجواب بما نصه بحرفه:

(ولعل السر في التزام الشيعة الإمامية السجود على التربة الحسينية مضافاً إلى ما ورد في فضلها من الأخبار، ومضافاً إلى أنها أسلم من حيث النظافة والنزاهة من السجود على سائر الأراضي، وما يطرح عليها من الفرش والبواري والحصر الملوثة والمملوءة غالباً بالغبار والمكروبات الكامنة فيها، مضافاً إلى كل ذلك لعل من جملة الأغراض العالية والمقاصد السامية أن يتذكر المصلي حين يضع جبهته على تلك التربة تضحية ذلك الإمام بنفسه وآل

(23) ابن قولويه، كامل الزيارات، باب (14) حب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحسن والحسين (عليهما السلام)، ج: 11، ص: 52، والبحار للمجلسي، ج: 43، تاريخ الحسن والحسين (عليهما السلام)، ج: 35، ص: 271 عنه، وأخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، ج: 3، فضائل الحسين (عليه السلام)، ص: 177، وقال حديث صحيح ولم يخرجاه.  
(24) هو عبدالله العلابي في كتابه (الإمام الحسين)، والعقاد في (أبو الشهداء) في صفحة: 154 جاء فيه ما نصه: فهي (أي كربلاء) اليوم حرم يزوره المسلمون للعبرة والذكرى، ويزوره غير المسلمين للنظر والمشاهدة، ولكنها لو أعطيت حقها من التنويه والتخليد لحق لها أن تصبح مزاراً لكل آدمي يعرف لبني نوعه نصيباً من القداسة وحظاً من الفضيلة؛ لأننا لا نذكر بقعة من بقاع هذه الأرض يقرن اسمها بجملة من الفضائل والمناقب أسمى وأزرم لنوم الإنسان من تلك التي اقترنت باسم كربلاء بعد مصرع الحسين فيها.

(25) الشيخ الطوسي، مصباح المتعبد، ص: 722، والبحار للمجلسي، ج: 98، كتاب المزار، باب 35، ص: 201 عنه.

بيته والصفوة من أصحابه في سبيل العقيدة والمبدأ، وتحطم هياكل الجور والفساد والظلم والاستبداد؛ ولما كان السجود أعظم أركان الصلاة، وفي الحديث «أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد»<sup>(26)</sup>. مناسب أن يتذكر بوضع جبهته على تلك التربة الزاكية أولئك الذين وضعوا أجسامهم عليها ضحايا للحق، وارتفعت أرواحهم إلى الملاء الأعلى، ليخضع ويخضع ويتلازم الوضع والرفع، ويحتقر هذه الدنيا الزائفة وزخارفها الزائلة. ولعل هذا المقصود من أن السجود عليها يخرق الحجب السبع - كما في الخبر الآتي ذكره - فيكون حينئذ في السجود سر الصعود والعروج من التراب إلى رب الأرباب، إلى غير ذلك من لطائف الحكم ودقائق الأسرار انتهى).

فإذا وقفت على بعض ما للأرض والتربة الحسينية من المزايا والخواص لم يبق لك عجب واستغراب إذا قيل إن الشفاء قد يحصل من التراب، وإن تربة الحسين (عليه السلام) هي تربة الشفاء<sup>(27)</sup> كما ورد في كثير من الأخبار والآثار التي تكاد تكون متواترة كتواتر الحوادث والوقائع التي حصل الشفاء فيها لمن استشفى بها من الأمراض التي عجز الأطباء عن شفائها، أفلا يجوز أن تكون تلك الطينة عناصر كيماوية تكون بلسماً شافياً من جملة من الأسقام قاتلة للميكروبات؟ وقد اتفق علماء الامامية وتضافرت الأخبار بحرمة أكل الطين إلا من تربة قبر الحسين (عليه السلام) بأداب مخصوصة وبمقدار معين، وهو أن يكون أقل من حمصة، وأن يكون أخذها من القبر بكيفية خاصة وأدعية معينة<sup>(28)</sup>.

ولا نكران ولا غرابة، فتلك وصفة روحية من طبيب ربّاني، يرى بنور الوحي والإلهام ما في طبائع الأشياء، ويعرف أسرار الطبيعة وكنوزها الدفينة التي لم تصل إليها عقول البشر بعد. ولعل البحث والتحري والمثابرة سوف يوصل إليها ويكشف سرها ويحل طلسمها، كما اكتشف سر كثير من العناصر ذات الأثر العظيم مما لم تصل إليه معارف الأقدمين، ولم يكن ليخطر على بال واحد منهم مع تقدمهم وسمو أفكارهم وعظم آثارهم. وكم من سر دفين ومنفعة جلية في موجودات حقيرة وضئيلة لم تزل مجهولة لا تخطر على بال ولا تمر على خيال؟ وكفى (بالبنسلين) وأشباهه شاهداً على ذلك. نعم لا تزال أسرار الطبيعة مجهولة إلى أن يأذن الله للباحثين بحل رموزها واستخراج كنوزها، والأمور مرهونة بأوقاتها، ولكل كتاب أجل ولكل أجل كتاب. ولا يزال العلم في تجدد، فلا تبادر إلى الإنكار إذا بلغك أن بعض المرضى عجز الأطباء عن علاجهم وحصل لهم الشفاء بقوة روحية وأصابع خفية من استعمال التربة الحسينية، أو من الدعاء والالتجاء إلى القدرة الأزلية، أو ببركة دعاء بعض الصالحين. نعم ليس من الحزم البدار إلى الإنكار فضلاً عن السخرية، بل اللازم الرجوع في

(26) الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال، ص: 60، والبحار للمجلسي، ج: 82، كتاب الصلاة، باب فضل السجود، ص: 163 عنه.

(27) راجع: البحار للمجلسي، ج: 75، كتاب السماء والعالم، باب تحريم أكل الطين وما يحل أكله منه، ص: 150 - 163.

(28) المصدر السابق.

أمثال هذه القضايا والحوادث الغربية إلى قاعدة الشيخ الرئيس المشهورة «كلما فزع سمعك من غرايب الأكوان فذره في بقعة الإمكان حتى يزودك عنه قائم البرهان» هذا بعض ما تيسر للقلم أن ينفث به مترسلاً بذكر شيء من مزايا الأرض وفلسفة السجود عليها وعلى التربة الحسينية، بعد أن اتضح أن الشيعة يقولون بوجوب السجود عليها، وعدم جواز السجود على غيرها من الأرض الطاهرة النقية. وإنما يقولون إن السجود على الأرض فريضة وعلى التربة الحسينية سنة وفضيلة؛ ومن السخافة أو العصبية الحمقاء قول بعض من يحمل أسوأ البغض للشيعة إن هذه التربة التي يسجدون عليها صنم يسجدون له. هذا مع أن الشيعة لا يزالون يهتفون ويعلمون في ألسنتهم ومؤلفاتهم أن السجود لا يجوز إلا لله تعالى، وأن السجود على التربة سجود له عليها لا سجود لها. ولكن أولئك الضعفاء من المسلمين لا يحسنون الفرق بين السجود للشيء والسجود على الشيء، السجود لله عز شأنه، ولكن على الأرض المقدسة والتربة الطاهرة، وسجود الملائكة كان لله وبأمر من الله تكريماً لأدم، نعم قد صار السجود على التربة الحسينية من عهد قديم شعاراً شائعاً لهذه الطائفة (الشيعة) يحملون ألواحها في جيوبهم للصلاة عليها، ويضعونها في سجاداتهم ومساجدهم، وتجدها منثورة في مساجدهم ومعابدهم، وربما يتخيل بعض عوامهم أن الصلاة لا تصح إلا بالسجود عليها، ومنشأ هذا الانتشار ومبدأ تكون هذه العادة والعبادة وكيفية نشوئها ونموها، وتعيين أول من صلى عليها من المسلمين، ثم شاعت وانتشرت هذا الانتشار الغريب هو أن في بدء بزوغ شمس الإسلام في المدينة، أعني في السنة الثالثة من الهجرة، وقعت الحرب الهائلة بين المسلمين وقريش في (أحد) وانهدّ فيها أعظم ركن للإسلام وأقوى حامية من حماته، وهو حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخوه من الرضاعة، فعظمت مصيبتة على النبي (صلى الله عليه وآله) وعلى عموم المسلمين، ولا سيما وقد مثلت به بنو أمية، أعني هنذاً أم معاوية، تلك المثلة الشنيعة فقطعت أعضائه واستخرجت كبده فلاكتها ثم لفظتها<sup>(29)</sup>، وأمر النبي (صلى الله عليه وآله) نساء المسلمين بالنيابة عليه في كل ماتم<sup>(30)</sup>، واتسع الأمر في تكريمه إلى أن صاروا يأخذون من تراب قبره فيتبركون به<sup>(31)</sup> ويسجدون عليه لله تعالى، ويعملون المسبحات منه. وتنص بعض المصادر أن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) جرت على ذلك أو لعلها أول من ابتدأ بهذا العمل في حياة أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولعل بعض المسلمين اقتدى بها. وكان لقب حمزة يومئذ سيد الشهداء، وسماه النبي (صلى الله عليه وآله) أسد الله وأسد رسوله<sup>(32)</sup>. ويعلق بخاطري عن بعض المصادر ما نصه تقريباً: حمزة دفن في أحد،

(29) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج: 2، غزوة أحد، ص: 159.

(30) ابن الأثير الجزري، أسد الغاية، ج: 2، ص: 53.

(31) راجع: الغدير للأميني، ج: 5، زيارة حمزة، ص: 161.

(32) الصدوق، الخصال، ج: 1، باب الأربعة، ص: 204، وذخائر العقبى، ص: 230.

وكان يسمى سيد الشهداء، ويسجدون على تراب قبره. ولما قتل الحسين (عليه السلام) صار هو سيد الشهداء وصاروا يسجدون على تربته انتهى.

ويؤيده ما في مزار البحار للمجلسي (قدس سره) ونصه: [عن ابراهيم بن محمد الثقفي عن أبيه، عن الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: إن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانت سبحتها من خيط صوف مفتل معقود عليه عدد التكبيرات، وكانت (عليها السلام) تديرها بيدها تكبر وتسبح حتى قتل حمزة بن عبد المطلب، فاستعملت تربته وعملت منها التسابيح، فاستعملها الناس، فلما قتل الحسين صلوات الله عليه عدل بالأمر إليه فاستعملوا تربته لما فيها من الفضل والمزية] (33) انتهى.

أما أول من صلى عليها من المسلمين بل من أئمة المسلمين فالذي استفدته من الآثار وتلقيته من حملة أخبار أهل البيت (عليهم السلام) ومهرة الحديث من أساتيدي الأساطين الذين تخرّجت عليهم برهة من العمر هو أن زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) بعد أن فرغ من دفن أبيه وأهل بيته وأنصاره أخذ قبضة من التربة التي وضع عليها الجسد الشريف الذي بضعته السيوف كلحم على وضم فشد تلك التربة في صرة وعمل منها سجادة ومسبحة، وهي السبحة التي كان يديرها بيده حين أدخلوه الشام على يزيد، فسأله ما هذه التي تديرها بيدك؟ فروى له عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) خبراً محصله: أن من يحمل السبحة صباحاً ويقرأ الدعاء المخصوص لا يزال يكتب له ثواب التسبيح وإن لم يسبح (34). ولما رجع الإمام (عليه السلام) هو وأهل بيته إلى المدينة صار يتبرك بتلك التربة ويسجد عليها، ويعالج بعض مرضى عائلته بها، فشاع هذا عند العلويين وأتباعهم ومن يقتدي بهم. فأول من صلى على هذه التربة واستعملها هو زين العابدين (عليه السلام) الإمام الرابع من أئمة الشيعة الاثني عشر المعصومين (عليهم السلام). ويشير إلى ذلك المجلسي في البحار في أحوال الإمام المزبور (35). ثم تلاه ولده محمد الباقر (عليه السلام) الخامس من الأئمة (عليهم السلام) وتأثر في هذه الدعوة، فبالغ في حث أصحابه عليها ونشر فضلها وبركاتها (36). ثم زاد على ذلك ولده جعفر الصادق (عليه السلام) فإنه نوّه بها لشيئته، وكانت الشيعة قد تكاثرت في عهده وصارت من كبريات طوائف المسلمين وحملة العلم والآثار، كما أوعزنا إليه في رسائلنا (أصل الشيعة) (37)، وقد التزم الإمام (عليه السلام) ولازم السجود عليها بنفسه. ففي (مصباح المتهدد) لشيخ الطائفة الشيخ الطوسي (قدس سره) روى بسنده أنه: كان لأبي عبدالله (الصادق) (عليه السلام) خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبدالله (الحسين) (عليه السلام) فكان إذا حضر الصلاة صبّه على سجادته وسجد

(33) المجلسي، بحار الانوار، ج: 98، كتاب المزار، باب تربته (عليه السلام)، ج: 64، ص: 133.

(34) المجلسي، بحار الانوار ج: 78، ص: 136 عن دعوات الراوندي.

(35) المصدر السابق، ج: 46، تأريخ علي السجاد (عليه السلام)، باب (5) مكارم أخلاقه وعلمه، = ح: 75، ص: 79.

(36) المصدر السابق، ج: 98، كتاب المزار، باب تربته (عليه السلام)، ح: 83، ص: 138 عن المزار الكبير.

(37) محمد الحسين آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة واصولها، ص: 123.

عليه، ثم قال (عليه السلام): السجود على تربة أبي عبدالله (عليه السلام) يخرق الحجب السابع<sup>(38)</sup>. ولعل المراد بالحجب السابع هي الحاءات السبع من الرذائل التي تحجب النفس عن الاستضاءة بأنوار الحق وهي: (الحقد، الحسد، الحرص، الحدة، الحماقة، الحيلة، الحقارة) فالسجود على التربة من عظيم التواضع والتوسل بأصفياء الحق يمزقها ويخرقها ويبدلها بالحاءات السبع من الفضائل وهي: (الحكمة، الحزم، الحلم، الحنان، الحصافة، الحياء، الحب). ولذا يروي صاحب الوسائل عن الديلمي قال: كان الصادق (عليه السلام) لا يسجد إلا على تراب من تربة الحسين (عليه السلام) تذللًا لله تعالى واستكانة إليه<sup>(39)</sup>. ولم تنزل الأئمة (عليهم السلام) من أولاده وأحفاده تحرك العواطف وتحفز الهمم وتوقر الدواعي إلى السجود عليها والالتزام بها وبيان تضاعف الأجر والثواب في التبرك بها والمواظبة عليها حتى التزمت بها الشيعة إلى اليوم هذا الالتزام مع عظيم الاهتمام. ولم يمض على زمن الصادق (عليه السلام) قرن واحد حتى صارت الشيعة تصنعها ألواحاً وتضعها في جيوبها كما هو المتعارف اليوم.

فقد روي في الوسائل عن الإمام الثاني عشر الحجة (عليه السلام) أن الحميري كتب إليه يسأله عن السجدة على لوح من طين قبر الحسين (عليه السلام) هل فيه فضل؟ فأجاب (عليه السلام): يجوز لك وفيه الفضل. ثم سأله عن السبحة فأجاب بمثل ذلك<sup>(40)</sup>; فيظهر أن صنع التربة أقرصاً وألواحاً كما هو المتعارف اليوم كان متعارفاً من ذلك العصر، أي وسط القرن الثالث حدود المائتين وخمسين هجرية، وفيها قال: روي عن الصادق (عليه السلام): «أن السجود على طين قبر الحسين ينور الأرضين السبع، ومن كانت معه سبحة من طين قبر الحسين كتب مسبحاً وإن لم يسبح فيها»<sup>(41)</sup>، وليست أحاديث فضل هذه التربة الحسينية وقداستها منحصرة بالشيعة وأحاديثهم عن أئمتهم (عليهم السلام)، بل لها في أمهات كتب حديث علماء السنة شهرة وافرة وأخبار متضافرة، وتشهد بمجموعها أن لها في عصر جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) نبأ شائعاً وذكرأ واسعاً، والحسين (عليه السلام) يومئذ طفل صغير يدرج. بل لعل بعضها قبل ولادته والنبي (صلى الله عليه وآله) ينوّه بقتل الحسين (عليه السلام) وآل بيته وأنصاره فيها، وإذا أردت الوقوف على صدق هذه الدعوى ومكانها من الصحة فراجع كتاب الخصائص الكبرى للسيوطي طبع حيدر آباد سنة 1320 هـ في باب إخبار النبي بقتل الحسين (عليه السلام)<sup>(42)</sup>.

(38) الشيخ الطوسي، مصباح المتعبد، ص: 733، والبحار للمجلسي، ج: 98، ح: 74، ص: 135، وج: 82، ح: 14، ص: 153 عنه.

(39) الديلمي، ارشاد القلوب، ج: 1، باب 32، ص: 115، والوسائل للحر العاملي، ج: 5، ح: 6809، ص: 366 عنه.  
(40) الطبرسي، الاحتجاج، ج: 2، أجوبته (عليه السلام) لمسائل محمد بن جعفر الحميري الفقهية، ص: 583، ووسائل الشيعة للحر العاملي، ج: 5، كتاب الصلاة، باب السجود على تربة الحسين (عليه السلام)، ح: 6807، ص: 366 عنه.

(41) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج: 1، باب ما يصح السجود عليه، ح: 829، ص: 268، وفي الوسائل للحر العاملي، ج: 5، باب السجود على تربة الحسين (عليه السلام)، ح: 6806، ص: 365 عنه.

(42) السيوطي، الخصائص الكبرى، ج: 2، باب إخباره (صلى الله عليه وآله) بقتل الحسين (عليه السلام)، ص: 212 - 216.

فقد روى فيه ما يناهز العشرين حديثاً عن أكابر الثقات من رواة علماء السنة ومشاهيرهم، كالحاكم<sup>(43)</sup> والبيهقي<sup>(44)</sup> وأبي نعيم<sup>(45)</sup> وأضرابهم<sup>(46)</sup> عن أم الفضل بنت الحارث وأم سلمة وعائشة وأنس، وأكثرها عن ابن عباس وأم سلمة وأنس صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخادمه الخاص به. يقول الراوي في أكثرها: إنه دخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) والحسين في حجره وعينا رسول الله تهرقان الدموع وفي يده تربة حمراء، فيقول الراوي: ما هذه التربة يا رسول الله؟ فقال: أتاني جبرئيل فأخبرني أن أمي ستقتل ابني هذا، وأتاني بتربة من تربته حمراء وهي هذه. وفي طائفة أخرى أنه يقتل بأرض العراق وهذه تربتها وأنه أودع تلك التربة عند أم سلمة زوجته فقال (صلى الله عليه وآله): إذا رأيتها وقد فاضت دماً فاعلمي أن الحسين قتل. وكانت تتعهدا حتى إذا كان يوم عاشوراء عام شهادة الحسين وجدتها قد فاضت دماً، فعلمت أن الحسين قد قتل. بل في هذا الكتاب (الخصائص) وفي (العقد الفريد) لابن عبد ربه أخرج البيهقي وأبو نعيم عن الزهري قال: بلغني أنه يوم قتل الحسين لم يقلب حجر من أحجار بيت المقدس إلا وجد تحته دم عبيط<sup>(47)</sup>.

وعن أم حيان: يوم قتل الحسين اظلمت الدنيا ثلاثاً ولم يمس أحدهم من زعفرانهم شيئاً إلا احترق، ولم يقلب حجر في بيت المقدس إلا وجد تحته دم عبيط<sup>(48)</sup>.

أما أحاديث التربة الحسينية وقارورة أم سلمة وغيرها وشيوع ذكرها في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) وإخباره عن فضلها وعن قتل الحسين (عليه السلام) فيها قبل ولادة الحسين (عليه السلام) وبعد ولادته وهو طفل صغير، المروية في كتب الشيعة والتاريخ والمقاتل فهي كثيرة مشهورة متضافرة، بل متواترة لو اجتمعت ل جاءت كتاباً مستقلاً<sup>(49)</sup>. ومن باب الاستطراد والمناسبة نقول: إن نبينا (صلى الله عليه وآله) كما أخبر بقتل ولده الحسين (عليه السلام) في كربلاء قبل وقوعه، ودفع لزوجته أم سلمة من تربتها وأراها لجملة من أصحابه، كذلك أخبر بحوادث كثيرة ووقائع خطيرة قبل وقوعها، فوقع بعضها في حياته وبعضها بعد رحلته من الدنيا.

(فمن الأول) إخباره بفتح مكة ودخولهم المسجد الحرام آمنين مطمئنين، كما في القرآن الكريم، وإخباره بغلبة الروم على الفرس في بضع سنين كما في القرآن أيضاً، وإخباره بأن كسرى قد مات أو قتل<sup>(50)</sup>، وإخباره بالكتاب الذي مع حاطب بن بلتعنة<sup>(51)</sup>، وكثير من أمثاله.

(43) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج: 3، کتاب معرفة الصحابة، فضائل الحسين (عليه السلام)، ص: 176 - 180.

(44) البيهقي، دلائل النبوة، ج: 6، باب إخباره بقتل ابن بنته الحسين (عليه السلام)، ص: 468 - 472.

(45) أبو نعيم، دلائل النبوة، ج: 2، ذكر أخباره (صلى الله عليه وآله) عن قتل الحسين (عليه السلام)، ص: 709 - 710.

(46) أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج: 1، ص: 242 و 283، ج: 3، ص: 242 و 265، ج: 6، ص: 294.

(47) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج: 5، حديث الزهري في قتل الحسين (عليه السلام)، ص: 127.

(48) السيوطي، الخصائص الكبرى، ج: 2، باب إخباره (صلى الله عليه وآله) بقتل الحسين (عليه السلام)، ص: 214.

(49) راجع على سبيل المثال: البحار للمجلسي، ج: 44، تاريخ الحسين (عليه السلام)، باب إخبار الله بشهادته (عليه السلام)، ص: 223 - 249.

(50) الراوندي، الخرائج والجرائح، ج: 1، معجزات النبي (صلى الله عليه وآله)، رقم 218، ص: 132.

(ومن الثاني) إخباره بأن أصحابه يفتحون ممالك كسرى وقيصر، وأن أصحابه يختلفون في الخلافة من بعده، وإخباره بمقتل عثمان، وشهادة أمير المؤمنين(عليه السلام) بسيف ابن ملجم، وبسم ولده الحسن(عليه السلام)، وغلبة بني أمية على الأمة، وبشهادة قيس بن ثابت الشماس، وبفتح الحيرة البيضاء، وقضية المرأة التي وهبها لبعض أصحابه، ولما فتح الحيرة خالد بن الوليد طلبها منه واستشهد بشاهدين من الصحابة فدفعها له، وهي السماء أخت عبد المسيح بن بقبلة كبير النصارى وقسمهم الأعظم، إلى كثير من أمثال هذه الوقائع التي لو جمعت لكانت كتاباً مستقلاً أيضاً.

## تمة فيها فوائد مهمة

حيث أننا ذكرنا في صدر هذه النبذة الوجيزة جملاً تتعلق بالأرض وأحوالها وناحية من شؤونها وخيراتها وبركاتها، رأينا من المناسب تعميم الفائدة بالتوسع في ذكر نواح أخرى تتعلق بالأرض، تشريعية أو تكوينية، حسبما يخطر على البال مع جري القلم، ولا ندعي الاستيعاب والإحاطة، فإنه يحتاج إلى استفراغ واسع لا يساعد عليه تراكم أشغالنا ووفرة أعمالنا، وتهاجم العلل والأسقام على قوانا، وإنما نذكر ما خطر وتيسر على جهة الأنموذج، ولعل المتتبع يجد أكثر مما ذكرنا، ويستدرك بالكثير والقليل علينا، وبالله المستعان وعليه التكلان.

### الفائدة الأولى:

ورد في جملة من أخبارنا المروية في كتب الحديث المعتبرة، بل هي أقصى مراتب الاعتبار والوثاقة عندنا، مثل كتاب (الكافي) الذي هو أجل وأوثق كتاب عند الشيعة الإمامية، نعم ورد فيه وفي أمثاله من الكتب العالية الرفيعة كعلل الشرايع للصدوق أعلى الله مقامه فضلاً عن غيره من المتأخرين (كالبحار) وغيره عدة أخبار، ولعل فيها الصحيح والموثق، مضمونها الشائع عند العوام أن الأرض يحملها حوت أو ثور وضعها على قرنه، فإذا شاء أن تكون في الأرض زلزلة حرك قرنه فتزلزل الأرض، مثل ما في (روضة الكافي) ما نصه: «علي بن محمد، عن صالح بن أبي حماد، عن بعض أصحابه، عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي عبدالله أي (الصادق(عليه السلام)) قال: «إن الحوت الذي يحمل الأرض أسرّ في نفسه أنه إنما يحمل الأرض بقوته، فأرسل الله تعالى إليه حوتاً أصغر من شبر وأكبر من فتر، فدخلت في

---

(51) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب 141، وكتاب المغازي، باب 46، وكتاب التفسير، باب سورة 60، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب 161، وأحمد في مسنده، ج: 1، ص: 79.



خياشيمه فصعق، فمكث بذلك أربعين يوماً، ثم إن الله عزوجل رؤف به ورحمه وخرج، فإذا أراد الله جلّ وعز بأرض زلزلة بعث ذلك الحوت إلى ذلك الحوت فإذا رآه اضطرب فتنزلت الأرض»<sup>(52)</sup>.  
ونقله (الوافي)<sup>(53)</sup> و(من لا يحضره الفقيه)<sup>(54)</sup> ثم عقبه صاحب الوافي الفيض الكاشاني(رحمه الله) بقوله: وسر هذا الحديث ومعناه مما لا يبلغ إليه أفهامنا<sup>(55)</sup>. ونقل الشيخ الصدوق في الفقيه حديثاً: «إن زلزلة الأرض موكولة إلى ملك يأمره الله متى شاء فيزلزلها»<sup>(56)</sup>، وفي خبر آخر: «أن الله تبارك وتعالى أمر الحوت بحمل الأرض وكل بلد من البلدان على فلس من فلوسه، فإذا أراد عزوجل أن يزلزل أرضاً أمر الحوت أن يحرك ذلك الفلس فيحركه، ولو رفع الفلس لانقلبت الأرض بأذن الله عزوجل»<sup>(57)</sup>. إلى كثير من أمثالها التي لا نريد في هذا المجال جمعها واستقصاءها وإنما الغرض الإشارة والإيماء إليها، والتنبيه على ما هو المخرج الصحيح منها ومن أمثالها بصورة عامة، فنقول: إن أساطين علمائنا كالشيخ المفيد والسيد المرتضى ومن عاصرهم أو تأخر عنهم كانوا إذا مروا بهذه الأخبار وأمثالها مما تخالف الوجدان وتصادم بديهة العقول، ولا يدعمها حجة ولا برهان، بل هي فوق ذلك أقرب إلى الخرافة منها إلى الحقيقة الواقعة، نعم إذا مرّ على أحدهم أحد هذه الأحاديث وذكرت لديهم قالوا هذا خبر واحد لا يفيدنا علماً ولا عملاً، ولا يعملون إلا بالخبر الصحيح الذي لا يصادم عقلاً ولا ضرراً، ولذا شاع عن هذه الطبقة أنهم لا يقولون بحجّة خبر الواحد إلا إذا كان محفوفاً بالقرائن المفيدة للعلم؛ ولا بد من رعاية القواعد المقررة للعمل بالخبر المنقول عن النبي(صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين(عليهم السلام) وهي فائدة جلييلة لا تجدها في غير هذه الأوراق.

#### القاعدة الكلية والضابطة المرعية:

إن الأخبار عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين(عليهم السلام) سواء كانت من طرق رواية الأمامية، أو من طرق الجماعة والسنة، تكاد تنحصر من حيث مضامينها في أنواع ثلاثة:

#### النوع الأول:

ما يتضمن المواعظ والأخلاق وتهذيب النفس وتحليتها من الرذائل، وما يتصل بذلك من النفس والروح والعقل والملكات، ويلحق بهذا ما يتعلق بالجسد من الصحة والمرض والطب

(52) الكليني، الروضة من الكافي، ج: 3، ص: 255.

(53) الفيض الكاشاني، الوافي، ج: 3، كتاب الروضة، باب الزلزلة وعلها، ص: 126 عن الكافي.

(54) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج: 1، ح: 1512، ص: 542.

(55) الفيض الكاشاني، الوافي، ج: 3، كتاب الروضة، باب الزلزلة وعلها، ص: 126.

(56) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج: 1، ح: 1511، ص: 542.

(57) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج: 1، ح: 1513، ص: 543.

النبوي، وخواص الثمار والأشجار والنبات والأحجار والمياه والآبار، وما يتضمن من الأدعية والأذكار والأحراز والطلاسم وخواص الآيات وفضل السور وقراءة القرآن، بل ومطلق المستحبات من الأقوال والأفعال والأحوال. فكل خبر ورد في شيء من هذه الأبواب والشؤون يجوز العمل به والاعتماد عليه لكل أحد من سائر الطبقات، ولا يلزم البحث عن صحة سنده ومنتنه، إلا إذا قامت القرائن والأمارات المفيدة للعلم بكذبه. وأنه من أكاذيب الدسّاسين والمفسدين في الدين.

#### النوع الثاني:

ما يتضمن حكماً شرعياً فرعياً تكليفاً أو وضعياً، وهي عامة الأخبار الواردة في أبواب الفقه من أول كتاب الطهارة، بما يشتمل عليه من الغسل والوضوء والتميم والمياه ونحوها، وكتاب الصلوة بأنواعها الكثيرة من الفروض والنوافل من الرواتب وغيرها، ذوات الأسباب وغيرها، والزكاة والخمس وأحكام الصوم والجهاد، وأبواب المعاملات والعقود الجائزة واللازمة، وكتاب النكاح وأنواعه والطلاق وأقسامه، وما يلحق به من الخلع والطهارة وغيرها؛ إلى أن ينتهي الأمر إلى الحدود والديات وأنواع العقوبات الشرعية والجرائم والآثام المرعي فيها سياسة المدن والصالح العام. وكل الأخبار الواردة والمروية في شيء من هذه الأبواب لا يجوز العمل بها والاستناد إليها إلا للفقهاء المجتهدين الذي حصلت له من الممارسة وبذل الجهد واستفراغ الوسع ملكة الاستنباط، وكملت له الأهلية مع الموهبة القدسية. نعم يجوز لأهل الفضل والمراهقين والذين هم في الطريق النظر فيها والاستفادة، منها ولكن لا يجوز لهم العمل بما يستفيدونه منها ويستظهِرونه من مداليلها، ولا الفتوى على طبقها قبل حصول تلك الملكة ورسوخها بعد المزاولة الطويلة والجهود المتמادية، مضافاً إلى الاستعداد والأهلية. نعم لا يجوز للأفاضل - فضلاً عن العوام - حتى في المستحبات مطلقاً، إلا ما كان من قبيل الأذكار والأدعية، فإن ذكر الله حسن على كل حال. ويكفي في بعض المستحبات الرجاء لإصابة الواقع والرجاء بنفسه إصابة، كما يدل عليه إخبار من بلغه ثواب على عمل فعمله رجاء ذلك الثواب أعطي ذلك الثواب وإن لم يكن الأمر كما بلغه، ولكن مراجعة المجتهد حتى في مثل هذه الأمور أبلغ وأحوط.

#### النوع الثالث:

ما يتضمن أصول العقائد من إثبات الخالق الأزلي وتوحيده، أعني نفي الشريك عنه، وصفاته الثبوتية والسلبية، وما إلى ذلك من تقديسه وتنزيهه، وأسمائه الحسنى وصفاته العليا وتعالى قدرته وعظمته، ثم النبوة، والإمامة، والمعاد وما يتصل به من البرزخ والنشر

والحشر ونشر الصحف والحساب والميزان والصراف إلى جميع ما ينظم في هذا السلك، إلى أن ينتهي إلى مخلوقاته جل شأنه من السماء والعالم والنجوم والكواكب والأفلاك والأفلاك والعرش والكرسي؛ إلى أن ينتهي إلى الكائنات الجوية من الشهب والنيازك والسحاب والمطر والرعد والبرق والصواعق والزلازل، والأرض وما تحمله وما يحملها، والمعادن والأحجار الكريمة، والبحار العظيمة وخواصها وما فيها، والأنهار ومجاريها، والرياح ومهابها وأنواعها، والجن والوحوش وأنواع الحيوان بحرياً أو برياً أو سمائياً، إلى أمثال ذلك مما لا يمكن حصره ولا يحصر عدّه. فإن الأخبار عن النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) قد تعرّضت لجميع ذلك، وقد ورد فيها من طرق الفريقين الشيء الكثير. وفي الحق أن هذا من خصائص دين الإسلام ودلائل عظمته وسعة معارفه وعلومه، فإنك لا تجد هذه السعة الواردة في أحاديث المسلمين في دين من الأديان مهما كان، ولكن الضابطة في هذا النوع من الأخبار أن ما يتعلّق منه بالعقائد وأصول الدين من التوحيد والنبوة، فإن كان مما يطابق البراهين القطعية والأدلة العقلية والضرورية يعمل به، ولا حاجة إلى البحث عن صحة سنده وعدم صحته، وهذا مقام ما يقال إن بعض الأحاديث متونها تصحّح أسانيدها، وإن كان مما لم يشهد له البرهان ولم تؤيده الضرورة، ولكنه في حيز الامكان ينظر، فإن كان الخبر صحيح السند صح الالتزام به على ظاهره وإلا فإن أمكن صرفه عن ظاهره وتأويله بالحمل على المعاني المعقولة تعيّن تأويله؛ وإن لم يمكن تأويله وكان مضمونه منافياً للوجدان صادماً للضرورة فمع صحة سنده لا يجوز العمل به لخلل في متنه، بل يردّ علمه إلى أهله، وإن كان غير صحيح السند يضرب به الجدار ووجب إسقاطه من جمهرة الأخبار. إذا تمهدت هذه المقدمة؛ فنقول في الأخبار الواردة في الأرض والحوث والثور؛ وكذا ما ورد في الرعد والبرق ونحوها، من أن البرق مخارق الملائكة، والرعد زجرها للسحاب، كما يزجر الراعي إبله أو غنمه، وأمثال ذلك مما هو بظاهره خلاف القطع والوجدان، فإن الأرض تحملها مياه البحار المحيطة بها وقد سبروها وساروا حولها فلم يجدوا حوتاً ولا ثوراً، وعرفوا حقيقة البرق والرعد والصواعق والزلازل بأسباب طبيعية قد تكون محسوسة ولموسة وتكاد تضع إصبعك عليها.

فمثل هذه الأخبار على تلك القاعدة إن أمكن حملها على معان معقولة وجعلها إشارة إلى جهات مقبولة ورموزاً إلى الأسباب الروحية المسخرة لهذه، دقيقة القوى الطبيعية فنعم المطلوب. وإلا فالصحيح السند يردّ علمه إلى أهله، والضعيف يضرب به الجدار ولا يعمل ولا يلتزم بهذا ولا ذاك. وهنا دقيقة لا بدّ من التنبيه عليها والإشارة إليها وهي: أن من الجلي عند المسلمين عموماً بل وعند غيرهم أن الوضع والجعل والدس في الأخبار قد كثر وشاع، وامتزج المجعولات في الأخبار الصحيحة، بحيث يمكن أن يقال أن الموضوعات قد غلبت

على الصحاح الصادرة من أمناء الوحي وأئمة الدين. ويظهر أن هذه المفسدة والفتق الكبير في الإسلام قد حدث في عصر النبوة، حتى صار النبي (صلى الله عليه وآله) يحذر منه وينادي غير مرّة: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(58)</sup>; وإنه «قد كثرت علي الكذابة وستكثر»<sup>(59)</sup>. ومع كل تلك المحاولات والتهويلات لم تنجح في الصد عن كثرته فضلاً عن إبادته، وقد حدث في عصره (صلى الله عليه وآله) وما يليه الشيء الكثير من الاسرائيليات وأقاصيص عن الأمم الغابرة، ونسبة المعاصي والكبائر إلى الانبياء والمرسلين والمعصومين، واشتهر بهذه الموضوعات أشخاص مشهورون في ذلك العصر مثل عبدالله بن سلام; وكعب الأحبار ووهب بن منبه وأمثالهم، ثم تتابعت القرون على هذه السخيمة، وانتشرت هذه الخصلة الذميمة، ففي كل قرن أشخاص معروفون بالجعل، وقد يعترفون به أخيراً، واشهرهم بذلك زنادقة المسلمين المشهورين مثل حماد الراوية وزملائه، ومثل ابن أبي العوجاء وأمثالهم<sup>(60)</sup>.

ذكر العالم الثبت العلامة الحبر الجليل الفلكي الرياضي الشهير (أبو ریحان) البيروني في كتابه الممتع العديم النظير - الآثار الباقية - طبع أوربا قال ما نصه في (ص: 67 - 68):  
وقد قرأت فيما قرأت من الأخبار أن أبا جعفر محمد بن سليمان عامل الكوفة من جهة المنصور حبس عبد الكريم بن أبي العوجاء، وهو خال معن بن زائدة وكان من المانوية، فكثرت شفعاؤه بمدينة الإسلام<sup>(61)</sup> وألحوا على المنصور حتى كتب إلى محمد بالكف عنه، وكان عبد الكريم يتوقع ورود الكتاب في معناه، فقال لأبي الجبار وكان منقطعاً إليه: إن أخرجني الأمير ثلاثة أيام فله مائة ألف درهم، فأعلم أبو الجبار محمداً، فقال الأمير ذكرتنه وقد كنت نسيته فإذا انصرفت من الجمعة فأذكرنيه فلما انصرف ذكره إياه فدعا به فأمر بضرب عنقه، فلما أيقن انه مقتول قال: اما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرم بها الحلال وأحل بها الحرام، ولقد فطرتكم في يوم صومكم، وصومتمكم في يوم فطركم، ثم ضربت عنقه، وورد الكتاب في معناه بعده; انتهى.

وذكر غيره على ما يخطر ببالي أن بعض المحدثين قال في آخر عمره: إني وضعت في رواياتكم خمسين ألف حديث في فضل قراءة القرآن وخواص السور والآيات، فقيل له تبوأ إذا مقعدك من النار فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده

(58) سنن ابن ماجه، ج: 1، باب التغليظ في تعمّد الكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ح: 30 و33، ص: 13.  
(59) الطبرسي، الاحتجاج، ج: 2، أجوبة الجواد (عليه السلام) على مسائل يحيى بن أكثم في مجلس المؤمن، رقم 323، ص: 477، والبحار للمجلسي، ج: 2، باب 29، ح: 2، ص: 225 عنه.  
(60) لمزيد الاطلاع ذكر العلامة الأميني عدداً كبيراً منهم، راجع الغدير للاميني، ج: 5، سلسلة الكذابين والوضاعين، ص: 209 - 275.

(61) هكذا وردت في المصدر ولعلها (السلام).

من النار فقال: ما كذبت عليه بل كذبت له<sup>(62)</sup>، ولم يعرف هذا الشقي أن الكذب له عنه كذب عليه. وهذا قليل من كثير مما ورد في هذا الباب<sup>(63)</sup>. وهنا ملحوظة أخرى غير خفية وهي أن الكثير ممن دخلوا الاسلام لم يدخلوه رغبة فيه واعتقاداً بصحته، وما دخلوه إلا للكيد فيه وهدم مبانيه، والعدو الداخلي أقدر على الإضرار من العدو الخارجي، ففسدوا في الأحاديث أخباراً واهية تشوّه صورة وجه الاسلام الجميلة ودعوته المقبولة، وتحطّ من كرامته وتلفّ من منشور رايته التي خفقت على الخافقين.

وهذا باب واسع يحتاج إلى فصل بيان لا مجال له هنا، وإنما الغرض هل يبقى وثوق بعد هذا بصدور هذه الأخبار من أئمتنا المعصومين (عليهم السلام)؟ الذين هم تراجمة الوحي ومجسمة العقول والمثل العليا، فكيف يحدثون بما لا يقبله العقل ولا يساعد الوجدان؟ نعم يمكن تأويل قضية الأرض والحوت والثور على فرض صدورها عن الأئمة (عليهم السلام) بأنها إشارة إلى أن الحوادث هي قوّة الحياة المودعة في الأرض التي يحيا بها النبات والحيوان والإنسان، فإن قوّة الحياة هي التي تحمل الأرض، والثور إشارة إلى ما يثير تلك القوة ويستغلّها من الآلات والمعدّات، إلى كثير من التأويلات والمحامل التي لسنا الآن بصددّها، وإنما الغرض المهم تنبيه أرباب المذاهب الإسلامية وغيرهم، بل وحتى عامة الإمامية أنه لا يجوز التعويل والاعتماد على ما في كتب الأحاديث من الأخبار المروية عن أئمتنا (عليهم السلام)، ولا يصح أن ينسب إلى مذهب الإمامية ما يوجد في كتب أحاديثنا، ولو كانت في أعلى مراتب الجلالة والوثاقة، وقد اتفقت الإمامية قولاً واحداً أن أوثق كتب الحديث وأعلاها قدراً وأسامها مقاماً هو كتاب (الكافي) ويليّه (الفقيه) و (الإستبصار) و (التهذيب) ومع ذلك لا يصح الاعتماد على ما روي فيها فإن فيها السقيم والصحيح، والمعوج والمستقيم، والغث والسمين، من حيث السندتارة، ومن حيث المتن أخرى، ومن كلا الجهتين ثالثة. ولذا قسم أساطين الإمامية في القرون الوسطى الأحاديث - بما فيها الكتب الأربعة المشهورة - إلى أربعة أقسام: الصحيح والحسن والموثوق والضعيف، ولا يتميز بعضها عن بعض إلا بعد الجهود واستقراغ الوسع، وللأوحد من أعلام المجتهدين. على أننا ذكرنا في جملة من مؤلفاتنا أن ملكة الاجتهاد وقوة الاستنباط لا يكفي فيها مجرد استقراغ الوسع وبذل الجهد، بل تحتاج إلى استعداد خاص يستأهل بها منحة إلهية ولطفاً ربانياً يمنحها الحق جل شأنه للأوحد، فالأوحد من صفوة عباده؛ ومن مجموع ما ذكرنا في هذا المقام يّضح أن نسبة بعض كتبة العصر جملة من الأمور الغربية إلى مذهب الإمامية لخبر أو رواية وجدوها في كتبهم، أو اعتمد عليها بعض مؤلفيهم لا يصحّ، ولا يصحّ جعله مذهباً للشيعنة بقول مطلق، بل لعله رأي خاص لذلك

(62) القرطبي، التذكار، ص: 156، وذكره الأميني، الغدير، ج: 5، سلسلة الزهّاد والكذابين، ص: 276 عنه.

(63) يقول البخاري صاحب الصحيح: احفظ مانتني ألف حديث غير صحيح. ذكره القسطلاني في شرحه (ارشاد الساري)، ج: 1،

المؤلف لا يوافق جمهورهم وأساطين علمائهم، كما أنه لا يجوز لعوام الإمامية فضلاً عن غيرهم النظر في الأخبار التي هي من النوعين الآخرين، فإنها مضللة لهم ومطلّنة خطر عليهم، وليس هو من وظيفتهم وعملهم، بل لابدّ من إعطاء كل فن لأهله وأخذه من أربابه وأساتيده. وبالجملة فتميّز الخبر الصريح دلالة المقبول مذهباً ليس إلا لأساتذة الفقه وجهابذة الحديث ومراجع الأمة الأصحاء لا المدعين والادعاء.

وما كل ممشوق القوام بثينة\*\*\* ولا كل مفتون الغرام جميل

الفائدة الثانية مما يتعلق بالأرض:

إن الشارع الحكيم في الشريعة الإسلامية قد علّق على الأرض جملة أحكام ذكرها الفقهاء في متفرق كتب الفقه؛ وقد ذكرناها في رسائلنا العملية المطبوعة (كالوجيزة) و (حواشي التبصرة) و (السفينة) و (السؤال والجواب) وغيرها، فلنذكرها هنا بالإيماء والإشارة بمناسبة ذكر الأرض وشؤونها وأحكامها؛ مرتبة على حسب ترتيب الفقهاء لكتب الفقه.

## كتاب الطهارة

- 1 - الأرض من المطهرات العشرة، تطهّر باطن القدم وأسفل العصا وباطن النعل والحذاء ونظائرها مع المشي عليها وزوال عين النجاسة.
- 2 - الاستجمار بأحجار ثلاثة طاهرة من الأرض تطهّر المخرج وتغني عن الماء.
- 3 - التيمّم بالصعيد وهو إما مطلق وجه الأرض فيشمل الصخر والحصى والرمل وأشباهها، أو خصوص التراب على خلاف بين الفقهاء كالخلاف بين اللغوين، ولعلّ الأول أرجح وهو بالكيفية المشروحة في كتب الفقه يغني عن الغسل والوضوء الواجبين والمستحبين في مواضع الضرورة بل ومطلقاً في بعض الموارد.
- 4 - وجوب دفن الأموات في الأرض بنحو يمنع ظهور رائحته ومن وصول الوحوش إليه.
- 5 - تعفير خده بالأرض عند دفنه.

\*\*\*

## كتاب الصلاة

- 1 - جواز الصلاة والمرور في الأراضي الواسعة المملوكة، ولو مع عدم الاستيذان من مالكيها مع عدم الإضرار، وكذا جواز الوضوء والشرب من الأنهار الواسعة المملوكة بغير استيذان.
- 2 - وجوب السجود على الأرض الطاهرة وما تنبتة غير المأكول والملبوس.
- 3 - إرغام الأنف بالأرض عند السجود.
- 4 - زلزلة الأرض سبب صلاة الآيات المعروفة وهي عشر ركوعات بنحو مخصوص.

## الزكاة

وجوب الزكاة فيما تخرجه الأرض من الغلات الأربع: الحنطة والشعير والتمر والزبيب، واستحبابه فيما عدا ذلك، نصف العشر فيما تسقى بالآلة، وضعفه فيما عدا ذلك.

## الخمس

أحد موارد وجوب الخمس الأرض المنتقلة من المسلم إلى الذمي.

## البيع

إرث الزوجة في الخيار المتعلق بالأرض التي تراث فيها الزوجة المنتقلة إلى الزوج أو المنتقلة منه، وهي من معضلات المسائل وفيها أبحاث عميقة ودقيقة ولنا فيها رسالة.

## المزارعة

وهي معاملة على زرع الأرض بحصة معينة من عائدها، وهي نوع من أنواع الإجارة والاستيجار انفردت عنها بأحكام خاصة ومثلها.

\* \* \*



## المساقاة

وهي معاملة على سقي الغروس بحصة معينة من ثمرتها.

## المغارسة

وهي معاملة على غرس في مدّة معيّنة بمقدار معين من المال أو من ثمراتها. والمشهور عند الفقهاء صحّة المعاملتين الأوليين وبطلان الأخيرة، والأصح عندنا صحّتها أيضاً.

## إحياء الموات

وستأتي الإشارة الموجزة إلى بيان بعض أحكامه في الفائدة الثالثة.

## الميراث

حرمان الزوجة من مطلق الأرض عيناً وقيمة، سواء كانت خالية أو مشغولة ببناء وعمارة؛ أو غرس أو زرع. وترث من البناء والغروس قيمة، ومن المنقولات عيناً. وهذا مما انفردت به الإمامية لأخبار خاصة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام). هذا ما حضرنا على جري القلم وربّما يجد المتتبع أكثر من هذا.

الفائدة الثالثة وهي نافعة وواسعة:

إن الأراضي التي استولى عليها المسلمون أيام الفتح وفي الصدر الأول من الإسلام لا تخلو عن كونها:

(إما غامرة) وهي الموات التي لا تصلح للزرع عادة إما لأن الماء يغمرها أكثر السنة، أو لأنه لا يصل إليها مطلقاً أو في أيام الزرع، أو لأنها سباح. ويدخل فيها الأودية والآجام ورؤوس الجبال وسيف البحار. وكل هذه الأنواع تدخل في الأنفال، وهي راجعة لولي الأمر يعمل فيها وفيما يوجد من المعادن في باطنها، وغيرها ما يراه صالحاً للإسلام وشؤونه وقوة

جنديته وأسلحته، فلا يجوز لأحد أن يستغل شيئاً منها إلا بإذنه أو إذن خلفائه أو أمنائه على مرور الأحقاب والاعقاب.

واما (عامرة) وهي أقسام:

(أولها) وأشهرها: المفتوح عنوة أي بالقهر والقوة، وهو ما أوجف المسلمون عليه بخيل وركاب، وذلك كالعراق بأجمعه، وأكثر إيران، وأكثر أراضي الشام وفلسطين وشرق الأردن ونحوها. وقد شاع واشتهر أن هذا القسم ملك أو مختص بالمسلمين، وأن تقبيله وتصريفه أيضاً لولي الأمر وخلفائه، وهذا القسم هو المعروف بأرض الخراج يقبل الامام لأحد المسلمين مقداراً منه فيزرعونه، ويأخذ منه العشر، قيمة وهو الخراج أو عيناً وهو المقاسمة، ثم يصرف ما يستوفيه من ذلك في مصالح الإسلام والمسلمين سلماً أو حرباً هجوماً أو دفاعاً مما لا مصداق له اليوم، بل وياليتنا نسلم من شرهم ونفلت من اشراكهم.

(ثانيها) الأرض التي أسلم عليها أهلها اختياراً كالمدينة وكثير من أراضي اليمن.

(ثالثها) الأرض التي صالح عليها أهلها من أهل الذمة وهي المعروفة بأرض الجزية.

وحكم هذين القسمين أنهما ملك تطلق لأربابه لا شيء عليهم فيهما سوى الزكاة في غلتهما بشرطها المعلومة.

أما المفتوح عنوة فبعد اتفاق الأصحاب أنها للمسلمين - وأن في غلتها مضافاً إلى الزكاة الخراج أو المقاسمة - اختلفوا أشد الاختلاف في ملكيتها؛ فبين قائل إنها لا تملك مطلقاً بل هي لعنوان المسلمين الكلي في جميع الطبقات إلى آخر الدهر؛ وبين قائل بأنه يملكها من تقبلها من الإمام أو السلطان بفرضه عليه من الشروط، وبين مفصل بأنها تملك تبعاً للآثار لا مطلقاً، واستدل كل من هؤلاء على مختاره بدليل من الأخبار ووجوده من الاعتبار وغيرهما. وارتبك القائلون بعدم الملكية مطلقاً أو الاتباع للآثار بالسيرة المستمرة من اليوم إلى يوم الإسلام الأول في البيع والشراء والوقف والرهن على رقبة الأرض، مع قطع النظر عن الآثار. وهذه العقود تتوقف على الملكية إذ لا بيع إلا في ملك، ولا وقف إلا في ملك وهكذا. ثم لازم القولين أن المسجد إذا زال بنيانه بالكلية يزول عن المسجدية حينئذ، ويصح جعله داراً ومزرعة أو غير ذلك، بل ويجوز تنجيسه ومكث الجنب فيه إلى آخر ما هناك. وهذه اللوازم مما لا يمكن الالتزام بها أصلاً.

وحل عقدة هذا البحث: إن الاصحاب رضوان الله عليهم من الصدر الاول إلى اليوم قد توهموا من الأخبار وفهموا منها عدم الملكية الشخصية لأحد من الناس لشيء من المفتوح عنوة، وأنه ملك لكلي المسلمين إلى نهاية الدهر لو أن للدهر نهاية، وغفلوا عن نقطة دقيقة في تلك الأحاديث لو التفت أحد منهم إليها لما وقع هذا الارتباك. وحاصل ما يستفاد من مجموع ما ورد من الروايات في هذا الباب هو أن الأرض العامرة قسمان:

(القسم الأول): هو مطلق لأربابه لا شيء عليهم فيه سوى الزكاة، وهما الأرض التي أسلم عليها أهلها، والتي صالحوا عليها.

(والقسم الثاني): وهو المفتوح عنوة مضافاً إلى الزكاة حق آخر لعنوان المسلمين ومصالحهم إلى يوم القيامة، لا يراد بذلك نفي الملكية مطلقاً، بل نفي الملكية المطلقة وبيان أن لها نوعاً خاصاً من الملكية، وذلك أن في عائدته حقاً للمسلمين ليس في سائر الأنواع، وهذه النكتة بعد التنبيه عليها جلية من الروايات والعجب غفل عنها أولئك الاعاظم.

ففي خبر محمد بن شريح: سألت أبا عبدالله [أي الصادق (عليه السلام)] عن شراء الأرض من أرض الخراج فكرهه، وقال: إنما أرض الخراج للمسلمين، فقالوا له: فإنه يشتريها الرجل وعليه خراجها؟ فقال: لا بأس إلا أن يستحي من عيب ذلك<sup>(64)</sup>.

وفي (صحيحة صفوان) قال: حدثني أبو بردة بن رجا قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): كيف ترى في شراء أرض الخراج؟ قال: ومن يبيع ذلك؟! هي أرض المسلمين؛ قال: قلت يبيعه الذي هي في يده، قال: ويصنع بخراج المسلمين ماذا؟! ثم قال: لا بأس اشتر<sup>(65)</sup> حقه منها ويحول حق المسلمين عليه ولعله يكون أقوى عليها وأملاً بخراجهم منه<sup>(66)</sup>.

أنظر كيف استنكر الإمام (عليه السلام) بيعها ثم أمضاه من الذي هي بيده إذا التزم بخراجها، فليس محط النظر في كل طائفة من الأخبار الواردة في هذا الموضوع إلا المحافظة على الخراج الذي هو حق المسلمين ومصالح الإسلام. نعم في هذا كثير من الأخبار ما يظهر منه المنع مطلقاً، مثل صحيحة ابن ربيع الشامي: «لا تشتتر من أرض السواد شيئاً إلا من كانت له ذمة فإنما هو في للمسلمين»<sup>(67)</sup>، وهو وأمثاله محمول على ما ذكرناه.

فاغتنم هذه الفائدة فإنها فريدة ومفيدة، وهي من مفرداتنا فيما أحسب. والمراد بأرض السواد العراق فإنه كان عامراً بأجمعه فمن توجه إليه يرى من بعد سواداً متراماً، وهذا السواد هو البياض حقيقة، أما بياض أراضي العراق اليوم لخرابها وعدم عمرانها فيها سواد الوجه، وحقاً ما قالوا: الظلم لا يدوم وإذا دام دمر، هذا حال العامر حال الفتح فإذا خرب وكان صالحاً للعمارة ألزم السلطان صاحب الأرض بعمارتها، فإن عجز دفعها ولي الأمر لمن يعمرها وتبقى على ملك الأول ويأخذ أجرة الأرض من المعمر الثاني ويدفع خراجها، أما لو جهل مالك الأرض فلولي الأمر أن يدفعها للمعمر أو تقبيلاً أو تمليكاً أو إجارة حسبما يراه من المصلحة، فلو ظهر صاحبها أخذ الأجرة، هذا حكم الموات بعد الفتح، أما الموات

(64) الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج: 7، كتاب التجارة، باب أحكام الأرضين، ح: (654)3، ص: 148.

(65) هكذا في الأصل، ولعل الصواب (أن يشتري).

(66) المصدر السابق، ج: 4، كتاب الزكاة، باب الزيادات، ح: (406)28، ص: 146، والاستبصار للشيخ الطوسي، ج: 3، كتاب

البيوع باب أرض الخراج، ح: (387)4، ص: 109.

(67) الطوسي، تهذيب الأحكام، ج: 7، كتاب التجارات، باب أحكام الأرضين، ح: (653)2، ص: 147، والاستبصار للشيخ

الطوسي، ج: 3، كتاب البيوع، باب أرض الخراج، ح: (385)2، ص: 109.

قبله وهو الذي أشرنا إليه في صدر هذه الفائدة وهو المعنون بكتب الفقهاء بكتاب (إحياء الموات) فقد شاع واشتهر حديث: «من أحيأ أرضاً ميتة فهي له»<sup>(68)</sup>. وربما يستكشف منه الإذن العام في الإحياء لكل أحد مسلماً كان أو غيره، وتكون ملكاً طلقاً له لا حق فيها لأحد لاخراجها ولا مقاسمة ولا غيرهما، نعم في غلتها الزكاة بشروطها كغيرها من الأراضي المملوكة، ولكن الأصح عندنا وهو الأحوط إستئذان الإمام في الإحياء أو نائبه، فإن شاء أذن له مطلقاً وإن شاء بأجرة حسبما يراه من المصلحة ووضع الأرض سهولاً وحزوناً وغير ذلك. نعم اشترطوا في إحياء الموات شروطاً:

- 1 - أن لا يكون مملوكاً لمسلم ومعاهد، سواء لم يعلم ملكية أحد له أو علم وباد أهله.
- 2 - أن لا يكون محجراً فإن التحجير يفيد الاختصاص والأولية.
- 3 - أن لا يكون قد جرى عليه إقطاع من السلطان أو الإمام فإنه كالتحجير.
- 4 - أن لا يكون مشعراً للعبادة كعرفة ومنى وأمثالهما.
- 5 - أن لا يكون حريماً لعامر من بلد أو قرية أو بستان أو مزرعة، ولا ما يحتاج إليه العامر من طريق أو شرب أو مراح أو ميدان سباق ونحوها.

## تنبيه

مما يلحق بهذا البحث المشتركات العامة وأصولها ثلاثة: المياه، والمعادن، والمنافع وهي ستة منافع: المساجد، والمشاهد، والمدارس، والربط ومنها الخانات في الطرق والمنازل للمسافرين، والطرق أي الشوارع والجادات، ومقاعد الأسواق.

ومعنى الاشتراك هنا أن كل من سبق إلى شيء أو محل من تلك الأماكن فهو أحق به ولا يجوز لغيره مزاحمته، فلو دفعه غيره فعل حراماً قطعاً، فإن كان عيناً كالماء والمعدن فهو غصب بلا إشكال، وإن كان موضعاً كالمدرسة والخان والشارع فلا يبعد الغصب على إشكال، وإن كان مشعراً كالمشاهد والمساجد ونحوها فالأقرب عدم تحقيق الغصبية لعدم حق مالي فيها يتحقق به الغصب، كما أوضحناه في كثير من مؤلفاتنا، وها هنا مباحث جليلة وتحقيقات دقيقة لا يسعها هذا المختصر وهي موكولة إلى محالها.

---

(68) راجع: الكافي للكليني، ج: 5، كتاب المعيشة، باب إحياء أرض الموات، ص: 279 - 280، والبحار للمجلسي، ج: 73، كتاب الأدب والسنن، باب اللحية والشارب، ح: 10، ص: 111.

#### الفائدة الرابعة:

تشتمل على أمور:

الأمر الأول: كان قدماء فلاسفة الحكمة الطبيعية إلى هذه العصور الأخيرة يرون أن عناصر الأجسام المادية التي تتركب الكائنات العنصرية منها هي أربعة: الماء، والتراب، والنار، والهواء، ويسمونها (الاستقصات) وهي كلمة يونانية<sup>(69)</sup>، ومنه نشأت النادرة الأدبية المعروفة، حيث أن أحد أدباء الموصل في بغداد قال في موشحته:

كرة النار على أيدي الهواء \*\*\* رفعت يحملها ابن السماء  
استقصات بزعم الحكماء \*\*\* بعضها من فوق بعض ركبا  
ليتني كنت تمام الأربع

فقال له بعض النجفيين مطايبية، قال الله سبحانه في كتابه: (ويقول الكافر يا ليتني كنت ثراباً)<sup>(70)</sup>.

نعم العناصر عند القدماء أربعة، أما اليوم وفي العلم الحديث فقد بلغت العناصر التي تتركب منها الأجسام جامدة أو سائلة أو غازاً سبعين عنصراً أو أكثر<sup>(71)</sup>، وأكثر العناصر والمركبات الكيماوية التي تتكون منها الأرض ولا سيما الأراضي الزراعية هي: الازوت والسليس والأوكسجين وكربونات الجير المغنيسيات وأوكسيد الحديد واليوتاسا والصودا وغيرها، وتختلف مقاديرها بحسب إختلاف الأراضي، وتسمى عندهم باسم العنصر الغالب، فبعضها طينية وبعضها رملية وأخرى حصوية وهكذا، وكما أن الأرض والتراب تتركب من العناصر وتتحل إليها فكذا الماء والهواء، فإن كلاً منهما يتركب من الأوكسجين والهيدروجين وغيرها بنسب متفاوتة ومقادير معينة، وكذلك الأجسام البشرية والحيوانية والنباتية. ولكل واحد من هذه العناصر مزية تخصه لا توجد في الآخر، وكل هذا مذكور ومفصل في العلوم الطبيعية بالمعنى الواسع، وليس الغرض هنا إلا ذكر ما يتعلق بالأرض بنحو موجز كالرمز ويطلبه من أراد التوسع من محاله ومن أهله.

الأمر الثاني: فيما يتعلق بحركة الأرض وسكونها وهي من مهمات المسائل الرياضية وأمهاتها. ومن المعلوم لدى كل ذي حس أن الزمان عبارة عن ليل ونهار يتقوم بهما الشهر، والسنة عبارة عن الفصول الأربعة، وكل هذه المعاني والاعتبارات متحصلة من الشمس

(69) راجع: البحار للمجلسي، ج: 56، كتاب السماء والعالم، باب النار وأقسامها، ص: 331.

(70) سورة النبأ: 40.

(71) هذا في زمان المؤلف، أما في الوقت الحاضر فقد تجاوز عدد العناصر المائة عنصر.

والقمر والأرض من حركة بعضها على نفسها، ودوران بعضها على بعض، إنما الإشكال على أوليات الدهر، والخلاف بين أعظم الحكماء اليونانيين الأولين وغيرهم أنه هل الشمس تدور على الأرض أو الأرض تدور عليها؟ بعد الاتفاق على أن القمر هو الدائر على الأرض ويتم دورته من المغرب إلى المشرق في سبعة وعشرين يوماً تقريباً، ومن هذه الدورة وما يلحقها يحصل الشهر. والأقوال في حركة الشمس أو الأرض كثيرة قد تزيد على ستة، ولكن المشهور منها مذهبان: الأول مذهب (فيثاغورس) الذي كان قبل المسيح بخمسمائة سنة، ثم تبعه جماعة من فلاسفة اليونان مثل (فلوطرخوس) و (ارشميدس) و (إيزاخوس). ولكن حيث أن هذا الرأي قد يتنافى مع ظاهر الحس، وما أكثر ما يخطئ الحس، فالمحسوس أن الأرض واقفة والشمس والقمر يتحركان عليها كما قال الشاعر:

تجري على كبد السماء كما \*\*\* يجري حمام الموت بالنفس

لذلك كفرهم أهل زمانهم وبقي هذا الرأي مهجوراً ومستوراً حتى جاء (بطليموس) قبل المسيح بمائة وخمسين سنة فأيد ما يراه العوام من سكون الأرض وحركة جميع السيارات عليها، وشاع واشتهر هذا الرأي، وعليه جرى حكماء الإسلام من زمن الرشيد والمأمون إلى زمن ابن سينا ونصير الدين الطوسي وأمثالهم من أعظم فلاسفة الإسلام إلى هذه العصور الأخيرة، وفرضوا لكل واحد من السيارات فلماً خاصاً والكوكب مركز في ثخنه وفرضوا العالم الجسماني كله في ثلاث عشرة كرة:

1 - الأرض: وهي المركز الذي تدور عليه جميع الكرات والسيارات والأفلاك والنيران وغيرها.

2 - الماء: وهو غير تام الاستدارة لانحساره عن الربع المسكون من الأرض، واللازم بعد اكتشاف أمريكا أن المسكون أكثر من الربع<sup>(72)</sup>.

3 - ثم كرة الهواء محيطة بالأرض والماء.

4 - كرة النار تحيط بالجميع.

5 - فلك القمر محيط بتلك الكرات وملتص مقعره بمحدها والقمر مركز في ثخنه.

6 - فلك عطارد.

7 - الزهرة.

8 - الشمس.

9 - المريخ.

10 - المشتري.

11 - زحل.

---

(72) هذا بلحاظ الفترة التاريخية لتأليف الكتاب.

## 12 - فلك الثوابت.

13 - الفلك الأطلس وهو فلك الأفلاك ومحرك الكل، وينتهي عالم الأجسام بنهاية هذا الفلك الأعلى، فلا خلا ولا ملا، ويقال إن فلك البروج هو العرش، وفلك الأفلاك هو الكرسي والله العالم، وأجأهم ما رصدوه من حركة القمر والسيارات وما وجدوه لما عدا النيرين من الرجوع والإقامة والاستقامة وهي الخمسة المتحيرة إلى الالتزام بأن كل فلك في ضمنه قطعات كالجوزهرات والموائل والحوامل والمثلثات وغير ذلك من الفروض التي صارت بها هذه الهيئة (البطليموسية) أعقد من (ذنب الضب). وكان علماء الغرب في القرون التي انبثق فيها نور الإسلام في ظلام دامس، فلما احتكوا بالمسلمين في الحروب الصليبية وفي مدارس قرطبة وغيرها من الأندلس فتحوا عيونهم واتسعت معارفهم من القرن التاسع، وخاضوا في شتى العلوم وأخصها الرياضيات، وكانت الهيئة السائدة عندهم هي هيئة بطليموس ومن خالفها أحرقوه وأحرقوا كتبه.

ونقل أن الفلكي (برنو) قال بحركة الأرض في القرن العاشر الهجري فأجلوه عن وطنه، ثم سجنوه ست سنين ثم أحرقوه وأحرقوا كتبه، ولكن تأثر به وشيد رأيه (غاليلو) بعد القرن العاشر فاضطهده حتى كاد أن يهلك، ولكن بما أن الحقيقة تهتك الستور وتأبى إلا السفور، لذلك انتشر هذا الرأي حتى صار من المسلمات التي لا تقبل الشك. وخلاصته: إن الأرض كوكب سيار وكرة سابحة في هذا الفضاء حول الشمس كسائر الكواكب التي يتألف منها نظامنا الشمسي، وهي السيارات السبع وغيرها مما توصلوا إليه من الدائرات حول الشمس، ولم يكن معروفاً مثل (فلكان) و (نبتون)، ولها - أي الأرض - حركتان (وضعية) و (موضعية) أي انتقالية، فأولى دورانها على محورها نحو الشمس ومنها يحصل الليل والنهار، وتقطع بهذه الحركة في الثانية (300) كيلو متر. والثانية على الشمس وحولها، ومنها تحصل فصول السنة: الربيع والشتاء والخريف والصيف. ومحيطها (40000) كيلو متر وقطرها (13000) وكلها تقريبية، ونسبة حجمها إلى الشمس نسبة الواحد إلى المليون وأربعمائة ألف، وتقطع في حركتها الثانية الدورة في 365 يوم، وتطوي في اليوم الواحد أكثر من خمسمائة ألف فرسخ سابحة في الفضاء تقرب من الشمس وتبعد عنها في مدار إهليجي تقريباً وهي منتفخة مستديرة في وسطها مسطحة في قطبيها وكروية في الجملة، تستمد نورها وسائر السيارات من الشمس، والشمس تفيض عليها وعلى سائر السيارات الدائرة حولها النور والحرارة.

ويعجبني ما في بعض الأخبار على ما يخطر ببالي من قول الإمام الصادق (عليه السلام) لبعض أصحابه ممن يزاول علم النجوم إذ يقول للإمام (عليه السلام): إن لي في النظرة في النجوم لذة، فيقول (عليه السلام) له ممتحناً: كم تسقي الشمس القمر من نورها؟ فقال: هذا شيء لم أسمع

قط، فقال الإمام(عليه السلام): **وكم تسقي الزهرة الشمس من نورها؟ إلى أن قال الإمام(عليه السلام): كم تسقي<sup>(73)</sup> الشمس من اللوح المحفوظ من نوره<sup>(74)</sup>؟**

فإن النور لما كان ألطف وأخف من الماء ويجري أشد من جريانه فإنه يطوي في اللحظة الواحدة مئات الملايين من الأميال حسناً جداً التعبير عن إفاضته على الأجسام الفاقدة له بالسقي والاستقاء، وفي هذا الخبر معان عميقة وأسرار دقيقة لا مجال لذكرها هنا، وإنما الغرض الإشارة إلى بلاغة التعبير بالسقي هنا ومناسبته للمقام. وأبلغ وأعلى منه كلمة القرآن المجيد عن دوران الكواكب في مداراتها وحركاتها في أفلاكها بقوله عز من قائل: **(كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)**<sup>(75)</sup> فإن هذا الفضاء غير المتناهي أو الذي لم تصل عقول البشر إلى منتهاه لما كان مملوءاً بالأثير أو بما هو أشف وألطف منه وهو أرق من الماء أشبه أن يكون كالبحر المتلاطم والكواكب في جريانها وحركاتها تسبح فيه وتشق عبايه.

وها هنا نكتة بديعة وهي أن هذه الجملة الصغيرة لفظاً العظيمة مغزى [كل في فلك] تضمّنت نوعاً من ألطف أنواع البديع وهو (ما لا يستحيل بالانعكاس)، وألطف مثال له النادرة المشهورة في كتب الأدب، وهي أن العماد الكاتب التقى ببعض أمراء عصره ركباً فرساً فقال له بديهة: (سر فلا كبا بك الفرس) فتنبه الأمير لنكته البديعة (وإنّ هذا طرده كعكسه) فأجابته بالمثل فوراً وقال له: (دام علاء العماد).

هذا ما اتخطّره من عهد بعيد يوم كنا نطالع كتب الأدب أيام الصبا، وهي في الحق لو كانت مع الفكرة وطول الروية فهي آية في قوة الفكر وحدة الذهن، فكيف لو صح أنها على البديهة، ولكن لا يذهبن عنك أن البراعة في الآية الشريفة وعلوّ الإعجاز فيها رعاية مناسبة الجملة للموضوع. فإن الموضوع لما كان هو الكوكب الذي يتحرّك في فلكه ومداره حركة مستديرة ولازمها أن تعود إلى مبدئه ويدور على نفسه وطرده كعكسه، فالموضوع معنى موضوع لا يستحيل بالانعكاس، فناسب أن يعبرّ عنه بجملة لا يستحيل بالانعكاس كنفس المعنى والموضوع، وهذه النكتة غاية في الإعجاز والروعة ولم يلتفت إليها أحد من الأدباء والمفسّرين.

ونعود إلى ما كنا فيه فنقول: تلك لمحة من حال أرضنا ونظامنا الشمسي، أما الثوابت عند أهل هذه الهيئة فهي شمس أيضاً في الفضاء، ولكل واحد منها أقمار وأراض وتوابع وأنظمة، وكل واحدة من تلك الشمس أكبر من شمسنا هذه بألوف الملايين، حسبما اكتشفوه بالآلات الجديدة والأرصاد المستخدمة والتلسكوبات الجبارة، وقد وزنوا النور وضبطوا مقادير سيره وانعكاساته وجاءوا بالأعاجيب المدهشة مع اعترافهم بأن نسبة ما عرفوه

(73) هكذا في الأصل ولعل الصحيح «تستقي».

(74) المجلسي، بحار الأنوار، ج: 55، كتاب السماء والعالم، باب علم النجوم والعمل به، ح: 33، ص: 250.

(75) سورة يس: 40.



واكتشفوه من تلك العوالم الشاسعة النيرة إلى ما جهلوا نسبة الومضة إلى بركان النور، والقطرة إلى البحور، ولكن كل ما اكتشفوه بالآتهم وأرصادهم تجد الإشارة إليه في القرآن العظيم وأخبار أئمتنا(عليهم السلام) حتى كون النور، وإنه مما يوزن وله مقادير معينة أشار إليه الخبر المتقدم بقوله: «كم تسقي الشمس الأرض من نورها؟» حيث يدل على أن النور له كمية ومقدار تفيضه الشمس على الأرض.

(والخلاصة) أن حركة الأرض وسائر ما برهنت عليه الهيئة الجديدة هو الموافق للقرآن الكريم والسنة النبوية ولا سيما أخبار أئمتنا(عليهم السلام) وهو مما يحتاج إلى مؤلف أو مؤلفات. الأمر الثالث: مما يتعلق بالأرض: إن الرياضيين من المسلمين بل وغيرهم فرضوا على الفلك المحيط بالأرض وما فوقها من الأفلاك على طريقتهم دوائر عظام وصغار، والدائرة العظيمة عندهم هي التي تقسم الكرة نصفين متساويين والدوائر العظام عشرة، أهمها دائرة المعدل المفروضة على الفلك الأعلى، وتقسم الأرض إلى نصف جنوبي وآخر شمالي. ودوائر منطقة البروج المنتزعة من سير الشمس السنوي على البروج الاثني عشر من الحمل إلى الحوت، وموضع التقاطع في نقطتين بينهما وبين الأولى يسميان الاعتدال الربيعي والخريفي، وأبعد نقطتين بينهما نقطتا الانقلابين الصيفي إلى الشمال والشتوي إلى الجنوب. والثالثة من الدوائر العظام دائرة نصف النهار التي تمرّ على سمت الرأس والقدم وتقسم الفلك والأرض إلى قسمين شرقي وغربي وتقاطع الأولى والثانية في نقطتين إلى آخر ما ذكر في كتب الهيئة مما ليس الغرض بيانه، وإنما المقصود بيان أنهم ذكروا أن المعمور من الأرض هو الربع الشمالي فقط من خط الاستواء إلى ما يقرب من القطب الشمالي، وقسموه إلى الأقاليم السبعة، مبتدئين من جزائر الخالدات من المغرب.

أما علماء الغرب فقسموا هذا الربع المعمور إلى القارات الثلاث قبلاً وهي آسيا وأفريقيا وأوربا ثم أضافوا إليها (استراليا) بعد اكتشاف (أمريكا)، فصارت القارات اليوم خمسة<sup>(76)</sup> وهي عبارة عن مجموع ما على هذه الكرة التي نحن عليها من البلدان والعمارات؛ ثم أن القرآن ينص على أن الأرضين سبعة حيث يقول جل شأنه: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ)<sup>(77)</sup>. وقد اختلف الفقهاء والمفسرون في تعيين الأراضي المشار إليها بالآية الكريمة بين ذاهب إلى أنها الأقاليم السبعة، وآخر أنها طبقات الأرض. وهي بعضها متصل ببعض لا فرجة بينهما، وقيل سبع بين كل واحدة إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام، وفي كل أرض منها خلق، حتى قيل في كل واحدة منها آدم وحواء ونوح وإبراهيم. وقد يوجد بعض هذا في بعض الأخبار ولكن الأرجح منه إرادة الطبقات الأرضية فقد ذكر علماء طبقات الأرض (الجيولوجيا) أنها تتكون من طبقة طينية ومعدنية، وطبقة

(76) هذا في زمن المؤلف، والمعروف اليوم أن القارات سبع.

(77) سورة الطلاق: 12.

الأدخنة والأبخرة، وطبقة نارية تنفجر منها البراكين النارية، وطبقة الجليد والزمهرير، ولكن الأصح من هذا كله والأحرى بالاعتبار ما ورد في بعض الأخبار في تفسير هذه الآية عن الإمام الرضا(عليه السلام).

فإن الرضا(عليه السلام) أجاب من سأله عن ترتيب السماوات السبع والأرضين السبع فقال(عليه السلام): هذه أرض الدنيا والسماوات الدنيا عليها قبة، والأرض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة والأرض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها. إلى آخر الخبر، وفي بعضها أنه(عليه السلام) وضع يده فوق الأخرى تمثيلاً<sup>(78)</sup>.

ومن الأدعية الشائعة المعتمدة وذوات الشأن الدعاء المعروف بدعاء الفرج المستحب في قنوت النوافل والفرائض «سبحان الله ربّ السماوات السبع، وربّ الأرضين السبع، وربّ العرش العظيم»<sup>(79)</sup>.

وفي بعض خطب النهج: «الحمد لله الذي لا توارى عنه سماءً سماءً ولا أرضاً أرضاً»<sup>(80)</sup>. ويظهر من هذه الفقرات المتعالية ومن الآية الشريفة بل صريحها أن هذه الأراضي السبع منفصل بعضها عن بعض، بل يظهر أو صريح جملة من أخبار أخرى منها أن فيها خلائق وسكاناً، ويشهد له قوله تعالى: (يُنزِّلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُنَّ).

كما يظهر من جملة أخرى أن الأراضي والكواكب السيارة أكثر من سبع، وأن له عزّ شأنه عوالم سيارات وأراضي تتجاوز مئات الألوف كلها موجودة فعلاً، ولا يحصي عددها إلا الله عزّ شأنه وجلّت عظمته.

الأمر الرابع في مبدأ تكوين الأرض:

الذي يظهر أن مجموع آثار الشريعة الإسلامية ومن بعض خطب (النهج) أن العالم الجسماني كله سماواته وأرضوه خلقت من زبد البحر، وأن أول ما خلق الله من الأجسام هو الماء<sup>(81)</sup>. ولعله يشير إلى غاز أثيري شفاف من أحد العناصر، وانضم إليه عنصر آخر عبرت عنه الشريعة بالدخان والزبد تقريباً للأذهان، ثم خلقت منه الكواكب والأرضون خلقاً استقلالياً لا اشتقاقياً توليدياً؛ نعم يظهر من علماء الغرب أن الأرض شعلة انفصلت من الشمس قبل آلاف الملايين من السنين ثم بردت وجمدت قشرتها الأولى بحيث صارت

(78) القمي، تفسير القمي، ج: 2، سورة الذاريات، ص: 329، والبحار للمجلسي، ج: 57، كتاب السماء والعالم، باب الارض وكيفيةها، ص: 79 عنه.

(79) الطوسي، تهذيب الاحكام، ج: 5، كتاب الحج، باب العمل والقول عند الخروج، ج: (154) 17، ص: 50.

(80) نهج البلاغة، خطبة 172.

(81) راجع: علل الشرائع للشيخ الصدوق، باب 77، ج: 6، ص: 83، والبحار للمجلسي، ج: 5، كتاب العدل، باب الطينة والميثاق، ج: 23، ص: 240 عنه، والمناقب لابن شهر آشوب، ج: 4، باب إمامة الرضا(عليه السلام)، ص: 54، والبحار للمجلسي، ج: 6، كتاب العدل، باب علل الشرائع (النوادر)، ج: 6، ص: 111 عنه، ونهج البلاغة، ج: 1.

صالحة للسكنى والانتفاع، والقمر قطعة من الأرض، فالأرض بنت الشمس والقمر ابن الأرض وكل هذا حدس وتخمين وأحلام ولكنها أحلام جميلة.

الأمر الخامس في نهاية الأرض:

وقد ذكر الكثير من الفلاسفة الأقدمين والمتجددين أن هذه الأرض لا بدّ وأن تنتهي إلى الفناء والتلاشي، وذكروا أسباباً متعدّدة لذلك، منها اصطدامها بمدنّب يجعلها هباءً منثوراً، كما اصطدمت بمدنّب في طوفان نوح، حيث دفعها إلى البحار المحيطة ففاضت البحار عليها وأغرقتها. ويشهد لهذا - أي لتلاشي الأرض - كثير من آيات الفرقان المجيد منها قوله: (إذا رُجَّتِ الأرضُ رجاً \* وبُسَّتِ الجبالُ بساً \* فكانتُ هباءً منبثاً)<sup>(82)</sup>. ولا شك أنها ترتج باصطدامها بقوة هائلة من مدنّب أو نحوه، وحينئذ تبس الجبال - أي تتفتت - ثم تطير وتصير هباءً في الفضاء. وهكذا الشمس والسماء والنجوم (إذا الشمس كورت \* وإذا النجوم انكدرت)<sup>(83)</sup>. وتكويرها انطفاء نورها وبرودة حرارتها وخمود نارها، وهكذا النجوم. فسبحان وارث السماوات والأرضين وما فيها ومن عليها، وحيث بلغ بنا الحديث إلى نهاية الأرض فلينته ما أردناه من القول عن الأرض وبعض شؤونها وأحوالها.

وقد جرى القلم بما ذكرناه على رسل الذهن وهفو خاطر، ومن المعلوم العنيد والملحوظات القديمة، شاكرين حامدين لله فضله علينا بتوفيقه وأطافه، وذاكرين بالخير والجميل من حرّك قلمنا بعد الهود، وأفكارنا بعد الجمود، مع شدة المحن وتهاجم الأرزاء علينا، فجزاهم الله أحسن الجزاء. اللهم عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

وكان ختام هذه النبذة يوم الرابع من ذي القعدة الحرام 1365 هـ في مدرستنا العلمية في النجف الأشرف.

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

(82) سورة الواقعة: 4 - 6.

(83) سورة التكوير: 1 - 2.

## محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة المجمع ...	5
تقدمة ...	7
الرسالة الأولى ...	8
الرسالة الثانية ...	10
الرسالة الثالثة ...	12
الرسالة الرابعة ...	14
الرسالة ...	17
تتمة فيها فوائد مهمة ...	44
الفائدة الأولى ...	45
القاعدة الكلية والضابطة المرعية ...	47
النوع الأول ...	47
النوع الثاني ...	48
النوع الثالث ...	49
الفائدة الثانية مما يتعلق بالأرض ...	56
كتاب الطهارة ...	57
كتاب الصلاة ...	58
الزكاة ...	58
الخمس ...	59
البيع ...	59
المزارعة ...	59
المساقاة ...	59
المغارسة ...	60
إحياء الموات ...	60
الميراث ...	60
الفائدة الثالثة وهي نافعة وواسعة ...	61
تنبيهه ...	67

الفائدة الرابعة ... 68

الأمر الرابع في مبدأ تكوين الأرض ... 79

الأمر الخامس في نهاية الأرض ... 80

\* \* \*